مدارات ونقوش

Orbits & Inscriptions

العدد (12) السنة الثانية - فبراير 2019

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية | تصدر عن مركز جمال بن حويرب للدراسات

محطات فارس العرب مع الخيل ترويها صفحات (قصتي)

أضواء على شخصية الشيخ عبد الله بن مبارك الصباح

الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير

أنساب الخيول العربية القديمة والحديثة

الشعر الغنائي العربي وتأثيره في الإمارات

كتاب الخمسة.. دراسة حول الحصان العربي الأصيل

من أطلال عَمورية

وثائق من تاريخ الخيول العربية الأصيلة

أماكن وتواريخ في رحلة الخيل العربي إلى أوروبا وأمريكا

الليدي آن بلنت عاشقة الخيول العربية

قريباً في المكتبات

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية

العدد 12 - السنة الثانية - فبراير 2019

تصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير

جمال بن حويرب

هيئة التحرير

حسين درويش

خليل البري

مريم أحمد

المدير الفني

أيمن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات

+97143940309

info@jbhsc.ae

عنوان المركز

الإمارات العربية المتحدة - دبي

الموقع الإلكتروني:

www.jbhsc.ae

Jbhscae | Jbhscae

Jbhscae | Jbhsc AE

36 محطات فارس العرب مع الخيل ترويها صفحات « قصتي »

06 أضواء على شخصية الشيخ عبد الله بن مبارك الصباح

ملف

12 أنساب الخيول العربية القديمة والحديثة

14 أماكن وتواريخ في رحلة الخيل العربي إلى أوروبا وأمريكا

16 كتاب الخمسة دراسة حول الحصان العربي الأصيل

18 الحداوي ما يقوله الأجداد على صهوات الجياد

21 كتبُ الخيل في فهرست ابن النديم

22 الليدي آن بلنت عاشقة الخيول العربية

26 وثائق من تاريخ الخيول العربية الأصيلة

28 « شويمان » حصان يزيد أواصر المحبة بين القلوب

30 ربدان حصان الشيخ زايد بن خليفة الأصل والنسب دراسة توثيقية

40 مساجد حمص القديمة

44 من أطلال عَمورية

48 الشعر الغنائي العربي وتأثيره في الإمارات

64 قصيدة لمحين الشامسي في مدح الإمام فيصل بن تركي قالها قبل مئتي عام

الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

ليست الفروسية عند العرب إلا تراثاً خالداً توارثوه عن أجدادهم منذ فترة طويلة جداً، لم يستطعْ أحدٌ من المؤرخين أن يحدِّدَ تاريخَ بدايتها، وإن جاءت بعضُ الأخبار بأنَّ جدَّ العربِ نبيَّ الله إسماعيل هو أوَّلُ من ركب الخيل العربية، بعد أن كانت وحشاً أوابدَ ولم تكن تقترب من البشر؛ فأخذها وأنست به، ولهذا تسمّى "الخيل العِراب"، واسمها في جميع لغات العالم اليوم "الخيول العربية"، وصفاتها خالدة لا تتغيَّر؛ لأنها أخذت من أرض الجزيرة قوَّتها وتحمُّلها، وأخذت من العرب أصالتهم وعزَّتهم حتى طُبعت أخلاقهم في أخلاقها وسماتهم في سماتها سبحان الله! ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"، وهناك أقوال أخرى، الله أعلم بصحتها، رواها الكلبيُّ النسّابة وغيره، وزعموا أنَّ الخيل كانت في بلاد اليمن، ثمَّ دخل بعضها في الجزيرة العربية بعد خراب مملكة سبأ، وإن كان ما قاله الكلبيُّ صحيحاً فلم يذهب رأيه بعيداً، بل هو قريب النَّجْعة؛ لأنَّ اليمن والجزيرة العربية كالجسم الواحد.

سباق الأخيال

جاء في فضل الخيول أحاديثُ صحيحةٌ، وروى الرواة اعتناء الرسول صلى الله عليه وسلم بها، وليس بمستغربٍ على الرسول الكريم حفيد النبي الكريم إسماعيل أن يكون كذلك، وكان العرب قبل الإسلام ومنذ القدم، يعتنون بها غاية الاعتناء، ويتسابقون على ظهورها، ويجعلون للفائزين جوائز ويسمّون الفائز الأول "المجّلي"، وهكذا حتى المتسابق الأخير فيسمّونه "السُّكيت"، وبلغ من حبّهم لها أنهم كانوا يعدّونها علقاً نفيساً؛ كما قال أحدهم عندما سُئِل أن يبيعَ فرسه "سكابِ" لأحد الملوك؛ فقال له في قصيدة مشهورة:

أبيتَ اللعنَ إنَّ سكابِ علقٌ

نفيسٌ لا يباعُ ولا يُعارُ

أمّا عن جواز السباق بالخيل، فقد أقرَّه الإسلام وحضَّ عليه، وروى الشيخان (البخاري ومسلم) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي ضُمّرت

وكان أمدُها (مسافتها) من "الحفياء" إلى "ثنيّة الوداع" (تقريباً 11 كم)، وسابق بين الخيل التي لم تضمّر من "الثنيّة" إلى مسجد بني زريق (تقريباً أقل من 2 كم)، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فيمن أجرى (سابق). وروى الذهبيُّ رحمه الله، بإسناده إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحضر الملائكة من اللهو شيئاً إلا ثلاثة: لهو الرجل مع امرأته، وإجراء الخيل (سباقها)، والنضال (بالسهم)».

الاختيار المناسب

توارث العرب عن أجدادهم أيضاً مهارة اختيار الخيل؛ فهم يعرفونها كما يعرفون أسماءَهم، وقد سألت مرّةً سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، رعاه الله، عن كيفية اختياره لخيله؛ لأنه لا يختار إلا الأفضل منها، فإذا دخلت مضمار السباقات العالمية لا يُشَقُّ لها نقعٌ، فقال: «هذا علم أخذته عن والدي الشيخ راشد، رحمه الله، وقد زدت فيه دراسة وخبرة مع مرور الأيام». قلتُ: التجارب ومعرفة الخيل التي انتقلت عبر القرون وتوارثها العرب منذ الأزمنة القديمة، هي نفسها التي وصلت إلى المغفور له الشيخ راشد، وعلَّمها نجله الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

مصدر الخير

هذا ولا تجد عربياً أصيلاً إلا وهو يحبُّ الخيل، وإن اختلفت الأهواء؛ لأنَّ منهم من يحبُّ ركوبها ويجد راحته فيها، ومنهم من يقتنيها لجمالها وبركتها ويباهي بها الخلق، ومنهم من أولع بالسباق بها في الميادين المحلية والإقليمية، وقد تكون مصدر الخير له، وفألاً حسناً يتبعه في مسيرة حياته، ومنهم من تعجبه مشاهدته لها فيجد في صورتها راحةً نفسيةً وشعوراً بالعزة والأنفة والكرامة والرحمة في آنٍ واحد؛ فكلُّ من يقف أمامها ينْجَبذُ إليها شنشنةً وطبيعةً، فكيف إذا كان عربياً ووقف أمام الخيل العِراب، التي في صفاته وصفاتها من التشابه ما فيها! سيكون الأمر عجيباً، وسوف تتحرّك (جينات) آلاف السنين عند تلك اللحظة، وهذا حقاً ما أشعر به عندما أراها، وإن لم أكن فارساً أو مالك أخيالٍ، ولكنه الشعور الذي ينتابني كلّما تقع عيناي في عينيها.

وقد ورث سيّدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، رعاه الله، حبّ الخيل كابراً عن كابرٍ من أجداده لأبيه آل مكتوم، وأجداده لأمه من آل نهيان، ومن تتبّع سيرة الأسرتين الكريمتين فسيجد لديهما شغفاً عجيباً وولعاً منقطع النظير باقتناء أفضل الخيول؛ فهم يربّون أنجالهم عليها منذ قديم الزمن، ولا تعجبوا إذا وجدتم من يمدحهم يذكر ذلك ويخصّهم به كمثل قول الشاعر العماني الكبير أبي مسلم ناصر بن عديّم الرواحي (1857-1911م) في مدحهم ومدح قبيلتهم:

قومٌ على صهَواتِ الخيلِ طفلهمُ

يربو لـه من دمِ الأبطـالِ ألبـانُ

فالشاعر مدحهم على ما عُرِفوا في ذلك الزمن، وهو لم يكن بينهم ليطلب رفدهم وصلاتهم وإنما ذكرهم ضمن قصيدة طويلة ذكر فيها كثيراً من القبائل، ولكنه خصَّ قبيلة "بني ياس" بأبيات جليلة وأوصاف بليغة وكان من أمدحها ذكره حبّهم للخيل.

ولهذا الأمر جاء جواب الشيخ محمد بن راشد عفوياً عندما سُئِل عن الفروسية من قِبَل مجلّة "الرجل" اللندنية في سنة 2000 فقال: «حبُّ الخيل في دمي، ولا تنسَ أنَّ الخيل العربية وُجدت مع القبائل العربية وكانت أداةً مهمةً في الصيد وفي الحرب، وهي تمثّل تاريخ العرب؛ الفروسية ليست مجرَد ركوبٍ للخيل، بل هي أصالةٌ وسلوكٌ، لقد ولدت على حبِّ الخيل، والوالد (الشيخ راشد) عرَّفني منذ صغري على الخيل وعلَّمني ركوبها وشاركت، وما زلت أشارك، في سباقات القدرة والسرعة سواء كانت محلياً أو إقليمياً».

دعـــوة

في هذا العدد من مجلتكم مدارات ونقوش خصَّصنا مجموعةً من المقالات والأبحاث عن الخيول العربية الأصيلة، جرياً على عادتنا في تخصيص موضوع لكل عدد، ويشرفني أنَّ مركزكم ومجلتكم من هذا العدد سيضيفان قسماً لدراسات الخيول العربية، ومن يُرِدْ أن يشاركنا هذا العمل الحضاري الذي نحفظ به تاريخ خيولنا العربية في دولة الإمارات والجزيرة العربية، فإنه مرحَّبٌ به في أي وقت.

jamal@jbhsc.ae

حكيم من بلاد تسيجها المفاخر ويحيطها الكرم

أضواء على شخصية الشيخ عبد الله بن مبارك الصباح

في كلِّ يوم تظهر للمؤرخين في الخليج العربي وثيقة من الوثائق التاريخية المحفوظة هنا وهناك، وربما عند أقوام لا يعرفون ما هي؟ وما قيمتها؟ وقد تكون هذه الوثيقة مهمة جداً، حيث يمكن أن تظهر حقيقةً كان الناس بعيدين عنها، أما الروايات الشفهية والمقالات القديمة وقصاصات الأخبار التي عفَّى عليها الزمن، ولم تعد في ذاكرة أحدٍ بعد مرور كثير من السنين على نشرها؛ فإنّني أشاهد زيادةً مطردة في أعدادها، خاصة بعد اهتمام الأعيان بها لمعرفة ماضيهم، وصار بالإمكان أن يعرفوا جزءاً من تاريخهم، وقد يشترون هذه المعلومات بالأموال الطائلة، مما شجّع الباحثين عن الصور والقصاصات الصحفية والمجلات في البحث عنها وجمعها من مصادرها، وكل هذا يعجبني جداً وأشعر بأننا في صحوة بعد الغفوة الطويلة التي كنّا فيها، ولكنْ هناك أمرٌ ينبغي أن لا نغفل عنه؛ ألا وهو تحرّي الصدق والتثبُّت من الأخبار وربطها بشكل صحيح، والبعد عن المزوّرين والكذّابين الذين يقلبون الحقائق ويزوِّرون الوثائق.

الشيخ عبدالله بن مبارك الصباح (1914-1991م)

كلمات معبرة

وأنا أكتب هذه الحلقة عن الشيخ عبدالله، تذكّرت هذه الكلمات الجميلة المعبّرة لزوجته الشاعرة الكبيرة الشيخة سعاد الصباح، حفظها الله، والتي نشرتها منذ أشهر قليلة، وقالت في مقدمتها: إلى روح زوجي وصديق الزمن الجميل عبدالله مبارك الصباح.. في ذكراه:

خُذْني إلى حقيقتي

خذني لما وراء الوقت والأيَّامْ

خذني لما وراء البوح والكلامْ

فإنني أريدُ أن أنامْ . .

ما أجملَ السُّكنى معكْ

على حدود الضَّوءِ والسَّحَابْ

أو تحتَ جَفْنَيْ كلْمةٍ

أو دَفَّتَيْ كتَابْ

ما أجملَ الهُروُبَ في الفجر معكْ

من غير تفكيرٍ.. ولا خوفٍ .. ولا نَدَامَة

لا تختلف حالة دولة الكويت في بداية القرن العشرين إبّان حكم الشيخ مبارك الكبير عن حال باقي دول ساحل الخليج العربي؛ فكلُّ دولةٍ أو لنقل إمارة، كانت تعيش الأوضاع المعيشية نفسها، والحالة الاقتصادية والتعليمية والسياسية متقاربة إلى حد كبير؛ فتجارتهم بيع اللؤلؤ،

بعد وفاة الشيخ مبارك الكبير تولت الشيخة شفيقة تربية ابنها الشيخ عبد الله تحت إشراف إخوته الكبار

ومعيشة عامة الناس من الغوص أو صيد الأسماك، أما قبائل الداخل فهي متناحرة فيما بينها، لا تهدأ غارة حتى تُشنَّ غارة، والأمراض والأوبئة متفشية في كلِّ مكان ولا تكاد ترى طبيباً، وإن وجدت فلن يعدو عن كونه أقل رتبةً من ممرض أو يكون دجّالاً من الدجّالين الذين لا يعرفون من الطبّ إلا اسمه، أما التعليم فليس هناك إلا ما يُسّمى الكتاتيب ولا يعرفون معنى للتعليم الحديث، في حين كانت أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول المتقدمة تنعم بالتقدّم والصحة والرفاهية؛ فقد أخذوا بزمام الحضارة منذ قرون.

موقع الكويت المهم جذب إليه أنظار الدول الكبرى من أمثال الدولة العثمانية وبريطانيا، وفي عام 1793م نقلت شركة الهند الشرقية التابعة للعرش البريطاني عمل وكالتها التجارية من البصرة إلى الكويت، إثر خلاف حصل بينها وبين العثمانيين الذين يحكمون العراق آنذاك، ما يدلُّ على استقلالها عن الإنجليز، ويدلُّ أيضاً على أنَّ نفوذ الأتراك كان ضعيفاً، وإلا لما تكرَّر نقل الوكالة البريطانية من وإلى الكويت مرات عدة.

تطور كبير

تطوَّرت الكويت بشكل تدريجي منذ حكم آل صباح الأول، ولكن كما ذكرت لم يكن هناك فرق كبير بين دول ساحل الخليج؛ إذ لم يظهر النفط بعد، ولم تكن ثَمّة تجارة غير تجارة اللؤلؤ الذي كان الطوّاش، وهو بائع اللؤلؤ، المستفيد الأكبر منه.

عندما حكم الشيخ مبارك الكبير في سنة 1892م، وهو جد العائلة الحاكمة اليوم في الكويت، قام بمهمات كبيرة وأعمال عظيمة أرست دعائم الحكم، وأظهرت الكويت على الخارطة السياسية في الجزيرة العربية، وكان من أهمها استقباله للإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود رحمه الله وأسرته وأعوانه لسنوات، ثمَّ مشاركته معه لاسترداد ملك أجداده، والذي نجح فيها ابنه الشاب عبدالعزيز في أحداثٍ تاريخيَّةٍ يطول ذكرها هنا.

كان عمر الشيخ مبارك الكبير يوم توليه حكم الكويت يزيد على الخمسين، وبقي حاكماً حتى سنة 1915م، رحمه الله، وقد رُزق قبل عام من وفاته في الثالث والعشرين من شهر أغسطس عام 1914، بمولود سمّاه "عبدالله" تيمُّناً باسم جده، ويكون على ذلك الفرق بين الوالد والابن في العمر أربعاً وسبعين سنة يوم ولادته، وأربعاً وخمسين سنة بينه وبين أخيه الشيخ جابر بن مبارك الذي ولد سنة 1860م، وتولى حكم البلاد بعد وفاة والده حتى سنة 1917م.

العلم في البادية

بعد وفاة الشيخ مبارك الكبير تولت الشيخة شفيقة تربية ابنها الشيخ عبدالله تحت إشراف إخوته الكبار، وعندما شبَّ قليلاً أخذه مطلق أبو حديدة الرشيدي إلى البادية ليتعلّم قساوة الحياة، وليشتدَّ عوده، وهي عادة الملوك والأمراء في الجزيرة العربية منذ قديم الزمان، وقد بقيت هذه التربية الأولى معينة له طيلة حياته.

التحق الشيخ عبدالله أولاً بالكتّاب، ليتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، ثمَّ التحق بالمدرسة المباركية التي افتتحها والده سنة 1911م، وتعدُّ أوَّلَ مدرسة نظامية في تاريخ الكويت، وتعلَّم فيها لفترة قصيرة؛ لأنَّ التعليم في تلك الأيام لم يكن كما ترونه اليوم، فإنه يكفي الطالب أن يبقى سنة أو سنتين من التعليم ليتلحق بعمل والده أو عمل أهله؛ لأنَّ الحياة القاسية لا تسمح لهم بأكثر من هذا القدر في التعليم.

في سنة 1926م طُلِبَ من الشيخ عبدالله، وهو في الثانية عشرة من عمره، أن يشارك في مهمة حراسة سور الكويت؛ تقول الدكتورة سعاد الصباح: «كان الشيخ عبدالله مسؤولاً عن حراسة إحدى بوابات السور وهي دروازة الشامية ويرجع تكليفه بهذه المهمة وهو في هذه السن الصغيرة إلى ما تمتّع به من شخصية محبوبة وقوية».

قلتُ: اختيار الشيخ في هذه السن المبكرة للقيام بهذه المهمة يدلُّ على ثقة الحاكم، وهو ابن عمه الشيخ أحمد الجابر الصباح، وأظنُّ أنهم يريدون منه أن يتعلَّم تحمُّلَ المسؤوليات، ولم يخطر على بال الشيخ عبدالله، وهو فتى صغير، أنه سيبقى في المجال العسكري طيلة حياته.

لا تسعفنا المصادر الموجودة عن حياة الشيخ عبدالله بن مبارك الصباح كثيراً من أخباره، ولا تشير إليه الوثائق إلا بعد أن تجاوز الثلاثين من عمره؛ أي في أوائل الأربعينيات، وأظن ذلك يعود لعدم تكليفه بمناصب قيادية في تلك الفترة، ولكن يشير المؤرخ محمد النبهاني في تحفته إلى أنَّ الشيخ عبدالله هدم قصر "مشرف"، وجدَّد بناءه على الطراز الحديث عام 1938م، وجهزه بالكهرباء ووضع فيه مذياعاً بعد أن فرشه بأحسن الأثاث

موقع الكويت المهم جذب إليه أنظار الدول الكبرى من أمثال الدولة العثمانية وبريطانيا

الفاخرة الحديثة، وقصر "مشرف" بناه والده الشيخ مبارك على هضبة مشرفة على البلدة القديمة والساحل، ولهذا سمّاه مشرفاً، ولا تزال أطلاله شاهدة على ذلك التاريخ القديم من حياة الكويت والشيخ عبدالله بن مبارك الكبير.

الماضي والحاضر

كنت أفكّر في روعة المتاحف العالمية، وخاصة الغربية منها ومن سار في دربهم من الأمم الأخرى، وهالني أعداد التحف والوثائق والممتلكات المعروضة فيها، أمّا التي توجد في المخازن فحدثوا ولا حرج؛ فإنها أكثر بآلاف المرات عن التي توجد في صالات عروضهم. ولتقريب الأمر إليكم، فقد اطلعت بنفسي على قوائم متحف واحد في لندن؛ فوجدت لديهم ما يزيد على خمسين مليون قطعة تتفاوت ما بين الصغيرة إلى الكبيرة، ذلك أنّهم أمّة تعرف كيف تحافظ على ماضيها وتجتهد في تحديث حاضرها وتعمل من أجل مستقبلها. وإنّي إن قلت هذا وأكبرت من شأن الغربيين، فهذا لا يعني أن أغفل عن ذكر جهود العرب في هذا المجال، وخاصة دول الخليج العربي التي تنفقُ مبالغ كبيرةً من أجل البحث والتنقيب والحفظ، ولكنّنا ما زلنا في البدايات ونحتاج إلى قفزات سريعة وكبيرة لكي نصلَ إلى مستوى الدول المتقدمة.

أقول هذا، لأنّني أعاني كثيراً قلّة المعلومات التاريخية، وندرة الممتلكات الشخصية للأعلام الذين أتحدّث عنهم في برنامجكم "الراوي"، ولهذا أقترح على حكومات دول مجلس التعاون الخليجي أن يخصّصوا متاحفَ تجمع مقتنيات هذه الشخصيات المهمة، وتحافظ عليها وتخلدها للناس عامة وللباحثين خاصة، وإذا تمَّ هذا الأمر فسيكون خدمة عظيمة للتاريخ، ومنّة كبيرة من أهالي هذه الشخصيات المجتمعية العامة.

فارس الفرسان

لا أشكُّ في أنَّ الشيخ عبدالله بن مبارك الصباح شارك مع أسرته آل الصباح الكرام والشعب الكويتي المخلص في التصدي للأعداء، وخاض غمار المعارك دفاعاً عن وطنه، وقد كان مساعداً للشيخ علي الخليفة العبدالله الصباح، وهو من قادة معركة الجهراء في سنة 1919م، وموقعة الرقعي في عام 1928م، وقد أصيب فيها. وكان الشيخ علي الخليفة محافظاً لمدينة الكويت، ومديراً لدائرة الأمن فيها، وبهذا يكون الشيخ عبدالله قد تعلَّم على يد فارس من فرسان آل الصباح وأحد القادة المشهود لهم بالشجاعة والقوة، وله مواقف مشهودة، وكان يكبر الشيخ عبدالله بخمس وثلاثين سنة.

في الثلاثينيات من القرن الماضي أصبح الشيخ عبدالله مسؤولاً عن مكافحة التهريب، ولو تخيّلنا صعوبة الأمر في هذه الأيام مع وجود كلِّ هذه الأجهزة الحديثة والمعدات والمدرعات وغير ذلك مما يستخدمها رجال الداخلية الأبطال في دول مجلس التعاون، فسنعرف أنَّ عملية مكافحة التهريب في حدود مترامية الأطراف وفي صحراء خالية، أمرٌ أشبه ما يكون بالمستحيل، ولكن الشيخ عبدالله كان يؤدّي مهمته بما يستطيع، وقد أدت عمليات مكافحة التهريب إلى غضب بعض القبائل وسبَّبت حرجاً فيما بينها، ما جعل الحكومة العراقية تتخذ إجراءات مشددة أضرت بنقل مياه الشرب إلى الكويت؛ فتدخَّل الوكيل السياسي البريطاني ديكسون لحلها.

في هذه العمليات الخطيرة واجه الشيخ عبدالله الموت مرّات عدة؛ فقد حدثت مواجهات بالسلاح الأبيض وبعضها كان بإطلاق النار، وكان يستخدم سيارات بالأجرة لهذا العمل؛ لأنّه لم تكن هناك سيارات حكومية للقيام بهذا العمل. والحمد لله على هذه النعم والأمن الذي ننعم به اليوم.

بسبب نشأة الشيخ عبدالله في البادية ومعرفته بأهلها وأسرارها، عُهِدَ إليه بأن يكون مسؤولًا عن أهل البادية؛ فكان يحلُّ خلافاتهم، وينجد القبائل إذا تعرّضت إلى هجوم من قبائل خارج الكويت؛ لأنَّ الصحراء العربية متواصلة ولا حدود تحدُّ أيَّ قبيلة من مهاجمة أخرى في تلك الأيام، وكانت أغلب الغارات من أجل أخذ الإبل؛ فكان الشيخ يتعقَّب الغزاة ويرد ما يستطيعه إلى القبائل المغار عليها.

كل هذا أكسبه مهارة عسكرية كبيرة وترابطاً مع أهل البادية من القبائل؛ كالعجمان ومطير وشمر والرشايدة والعوازم وغيرهم. وكان الشيخ عبدالله ورجاله يفترشون الرمال ويشربون من مياه يستخدمون غترهم لتصفيتها من الشوائب، كان من نتائج هذا الترابط أن كوَّن ولاءً سياسياً يثبّت أركان حكم آل الصباح.

في سنة 1940م، حصل خلاف بين اثنين من عمال الأميرة نورة أخت الملك عبدالعزيز وبعض الكويتيين، انتهى بالاعتداء فلما اشتكى المعتدى عليهم عند الشيخ عبدالله قام بمعاقبة العاملين؛ فأثار هذا الأمر غضب الملك عبدالعزيز وطلب بتسليم

الـذي عاقبهمـا، تقـول الشـيخة سـعاد الصبـاح: «طلبـت الأسـرة الحاكمـة مـن الشـيخ عبدالله السـفر لمقابلـة الملـك عبدالعزيـز ورافقه رئيسه الشيخ علي الخليفة، فلما دخلا عليه جلس الشيخ عبدالله فـي مـكان أبعـد بحكـم صغـر سـنه، وجلـس الشـيخ علـي قريبـاً مـن الملـك؛ فطلـب الملـك مـن الشـيخ عبدالله أن يشـرح هـذا الموضـوع، فلما شرحه لـه قـال الملـك: لقـد فعلـت الصـواب ولـولا أنـك واثـقٌ مـن ذلـك لما كنـت تحضـر بقدميـك إلـى هنـا، أنـت ابـن مبـارك، أنـت تضـرب عنّـا ولا لـوم عليـك". وقـد قـدَّم لهما الملك عبدالعزيز هدايا ومنها سيارتان من طراز فورد، وظل محتفظاً بإحداهما حتى سنة تسعين ونهبت أثناء الغزو العراقي.

الحرب العالمية

فـي سـنة 1942م انتقـل إلـى جـوار ربـه الفـارس الشـيخ علـي الخليفـة؛ فخلفـه فـي منصبـه مساعده الشـيخ عبدالله بـن مبـارك، فأصبـح رئيسـاً لدائـرة الأمـن العـام ومحافظاً لمدينـة الكويـت، وكان ذلـك فـي حكـم الشـيخ أحمـد الجابـر، ولا ننسـى أنَّ هـذه الفتـرة هـي فتـرة صعبـة علـى المجتمـع الدولـي، وقـد خيّمـت بظلالهـا المشؤومة على الخليج العربي؛ فهي فترة الحرب العالمية الثانية وكانـت تحمـل كثيـراً مـن التهديـدات خاصـة علـى المسـتعمرات البريطانيـة.

عندما استلم الشيخ عبدالله دائرة الأمـن العـام لـم يكـن بهـا غيـر ثلاثـة موظفيـن؛ وهـم عبداللطيـف الثوينـي، عثمـان بوقمـاز وأميـن سـنجر؛ فبـدأ مباشـرة بعمليـات تطويـر الأمـن.

حصلـت حادثـة فـي سـنة 1944م، حيـث انتشـرت عمليـات التهريـب بيـن الكويـت والعـراق وأثنـاء مطاردة أحد المهربيـن أُطلـق النـار علـى أحدهـم ففُتِـلَ، وكان مـن عشـائر المنتفـق الكريمـة، فطالبـت بتسـليم القاتـل وهـدَّدت بالإغـارة علـى الكويـت، فطلـب الشـيخ أحمـد الجابـر مـن الشـيخ عبدالله أن يتصـل بهـم ويحـاول أن يخفّـف غضـب قبائـل السـعدون؛ فمـا كان منـه إلا أن ذهـب إليهـم ويقـول عـن وصولـه: «عندمـا وصلـت إلـى المنتفـق شـعرت بأننـي أدخـل سـاحة معركـة؛ فالرجـال مسـلحون ومنتشـرون فـي كل مـكان، وخيـام شـيخهم كانـت تحـت حراسـة مشـددة والـكل مسـتعد للقتـال». قـام الشـيخ عبدالله بمناقشـة شـيوخ المنتفـق وأقنعهـم بقبـول الديـة وتمَّـت المصالحـة بنجـاح واسـتخدم علاقاتـه القديمـة بهـم.

تقديـراً لجهـود الشـيخ عبدالله منحـت الدولـة البريطانيـة فـي

الشاعرة سعاد الصباح

عـام 1945م وسـام الإمبراطوريـة الهنديـة مـن درجـة رفيـق cie، وقـد كتـب مـع الوسـام: سـعادة الإداري الحـازم الشـيخ عبدالله مبـارك رئيـس الأمـن العـام فـي الكويـت.

فـي سـنة 1947م زار المؤرخ محمـد النبهانـي الكويـت؛ فدعـاه الشـيخ عبدالله المبـارك إلـى زيارتـه مرتيـن فـي قصـر مشـرف وأقـام لـه مأدبـة كبيـرة، وهـذا يـدلُّ علـى حـرص الشـيخ عبدالله علـى لقـاء العلمـاء والمؤرخيـن والأدبـاء، يقـول الشـيخ النبهانـي عنـه: «إنَّ الشـيخ عبدالله ذو فكـرة وقّـادة، ونظـر بعيـد مـع نشـاط حيـوي، وهـو القيـام بأنظمـة الوطـن وراحـة الأهالـي مـع تفقُّـد ذويـه مـن آل الصبـاح قاصيهـم ودانيهـم».

صفة الكرم

كان الشيخ عبدالله كريماً منذ صغره، وكلٌّ من التقى به يذكر هذه الصفة عنه.

قد يطول بنا الكلام عن بعض الأعلام الكبار؛ فأحتاج إلى مزيد من الوقت للحديث عنهم، ولن أستطيع أن أوفيهم حقهم، ولكني أكتفي بالانتقاء من أخبارهم لأتمكَّن من رواية سيرة مختصرة تبيّن لنا أهمَّ مراحل حياتهم وأعمالهم. وبعضهم لو خصصت جميع حلقات هذا البرامج لما كانت كافية لإكمال تاريخهم من أمثال قائدنا الخالد الشيخ زايد بن سلطان، وأخيه الشيخ المُلهم راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمهما الله.

وكم قيل لي: نشعر بأنَّ في القصة بقية ولم تكملها؛ فأجيب: بل هناك أخبار طوال تحتاج إلى تفصيل، وأَعِدُكُم أيُّها الأعزّاء، وأَعِدُ كلَّ من يسألني أن أجمعَ هذه الحلقات في كتابٍ، وهنا أستطيع أن أضيف من المعلومات كيفما شئت، ولن يحاصرني وقت البرنامج. هذا وعدٌ، وانتظروا الجزء الأول من كتاب الراوي قريباً إن شاء الله.

وقبل أن أتابع رواية هذه الحلقة أريد أن أنبّه على أمر مهم لذوي هذه الشخصيات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخ المنطقة، لديَّ فكرة لكم لتخليد أعلامكم: لماذا لا تقومون بفتح صفحة على شبكة الإنترنت أو الفيسبوك أو تويتر وتبثُّون من خلالها أخبار عَلَمِكُم الصحيحة، وتنتقون الوثائق المؤكّدة، وتصوّرون مقتنياته وكتبه وأوراقه، لتكون متاحة للناس؛ فيكونوا أقرب له ويتعرفوا إليه وإلى أعماله.

عصر النفط

عندما أدار الشيخ أحمد الجابر الصباح، رحمه الله، العجلة الفضية لاستخراج النفط بكميات كبيرة وتجارية في 30 يونيو من عام 1946م، معلناً بداية عصر جديد لدولته، بدأت أعمال التطوير تتسارع عجلتها من جميع النواحي الاقتصادية والتعليمية والثقافية والسياسية، وجاء هذا الرزق الربّاني في الوقت نفس الذي فقد الناس في الخليج العربي ثروة اللؤلؤ، وكانت أسواقه العالمية في تدهور سريع أدّى إلى إفلاس كثير من التجار.

بلغت عوائد النفط ذلك العام 760 ألف دولار، ثمَّ زادت في العام التالي إلى مليوني دولار، وبلغت عوائد النفط

يداً بيد مع الشيخ صباح الأحمد حيث كان الشيخ عبدالله المبارك الداعم لشباب الأسرة

الكويتية في عام 1948م أكثر من خمسة ملايين دولار؛ فانعكست هذه الزيادة الكبيرة على ميزانية الدولة وظهرت الطفرة الكبيرة التي نقلت الكويت من حال إلى حال.

لم يكن الشيخ عبدالله بن مبارك بعيداً عن موقع القرار؛ تقول الدكتورة سعاد الصباح: «كان قدر الشيخ عبدالله أن يكون في موقع رسم السياسات واتخاذ القرار وتحمُّل المسؤولية، وشملت جهود الشيخ مختلف جوانب الحياة الاجتماعية؛ فقام بالعمل على تأسيس محطة إذاعة الكويت التي افتتحت رسمياً في عام 1952م، وكانت تشغل غرفة واحدة في دائرة الأمن العام، وقام بإدارتها محمد توفيق الغصين ومساعده مصطفى أبوغريبة، وكان كلاهما قد عملا من قبل في إذاعة الشرق الأدنى بقبرص، وافتتحها الشيخ بكلمة: إني آمل أن تكون نواة لإذاعة كبرى تعبّر عن صوت الكويت».

كانت الإذاعة تبثُّ برامجها لمدة ساعتين، ثمَّ زيدت إلى ثلاث ساعات ونصف، وقد ذكر القنصل الأمريكي في تقريره أنَّ عدد أجهزة الراديو زادت بشكل كبير على سنة 1950، حيث بلغت خمسة عشر ألف جهاز تقريباً، وهذا يدلُّ على اهتمام الكويتيين بالإذاعة التي افتتحها الشيخ.

قصيدة وشوق

في سنة 1952 أيضاً، سافر الشيخ عبدالله، وأظنه أطال في سفره خارج الكويت حتى اشتاق إلى رؤيته الشاعر والأديب عبدالله الصانع، رحمه الله، فكتب قصيدة رائعة من عيون شعره يذكر

كان الشيخ عبد الله بن مبارك الصباح يتمتع بصفات قيادية وأخلاق عالية وكرم مشهود

فيها شوقه إليه، وأنه ينتظر استماع خبر رجوعه من المذياع، ويذكر فيها جميل صفات الشيخ عبدالله وكرمه فيقول فيها:

تباري غمامَ الوسمِ جدواكَ إنْ همى
وينشر منها نسمةَ المسكِ جودُها

تغيَّبتَ يا ذا المجدِ عني فإنني
لبُعدِك في ظلماءَ ثاوٍ ركودها

أراقبُ ميقاتَ الإذاعة علّني
أحسُّ بمن قد نال عنك بعيدُها

لأنك عندي في الشدائدِ جُنّةٌ
ومربعُ خصبٍ إن فنى لي حصيدُها

في السنوات التي تلت، أشرف الشيخ عبدالله على تطوير الإذاعة وأجهزتها حتى بلغت ساعات البث ست عشرة ساعة في سنة 1960م.

وفي سنة 1953م، أنشأ الشيخ عبدالله نادياً للطيران، واستقدم له مدرباً إنجليزياً، وقام بإدارة النادي مصطفى صادق، وقد أشرف أيضاً قبل ذلك على إنشاء ميناء الأحمدي عام 1951م، وقد أنشأ إدارة العمل والهجرة لتنظيم دخول العمالة الوافدة، ولكونه رئيساً لمجلس المعارف أشرف على تطوير التعليم وتحديث مبانيه.

أثناء العدوان الثلاثي على مصر في سنة 1956م، كانت هناك مظاهرات، وخاصة من المصريين والفلسطينيين الذين يقيمون في الكويت، ولم يكن صحيحاً مواجهة التيارات القومية تلك الأيام؛ لأنها ستؤدي إلى كوارث، وبعد انفجار ست عشرة قنبلة في حقول النفط، وصل الأمر إلى الخطورة القصوى، فبدأ الشيخ عبدالله اجتماعاته مع قادة التيارات القومية وقال لهم: «من يُرِد التبرُّع بالمال فباب التبرُّع مفتوح، ومن يُرد التبرُّع بالنفس فإنَّ الطائرات موجودة وستحمله إلى ساحات الحرب، والسلاح موجود، وأنا أضمن وصولكم إلى مصر». بهذه الكلمات استطاع أن يقنع قياداتهم وانتهى الأمر بسلام.

شخصية عربية

لم يقتصر دور الشيخ عبدالله على المساهمة في بناء الإدارات العامة والمرافق التي تفيد المواطنين وتطويرها، بل كان ينوب عن الحاكم كثيراً، ويمثّله في الداخل والخارج بكل جدارة، وكانت تربطه برجالات السياسة الدولية علاقات طيبة، وإن كانوا مختلفين، تقول الشيخة سعاد: «تمتَّع الشيخ عبدالله بشخصية ذات قبول عربي عام، فلم يدخل في محاور السياسة العربية ومناورتها، وأقام صداقات مع أطراف متعددة، رغم ما وقع بينها من خلافات ونزاعات حادة؛ فنجد مثلاً أنَّ الروابط التي جمعته بأسرة آل سعود كانت متينة ومتميزة في الوقت نفسه الذي تمتَّع بعلاقات وطيدة مع الساسة المصريين كجمال عبدالناصر والسادات، وكان يحضر حتى زيجات بناتهم، وكذلك مع الساسة السوريين على الرغم ممّا شاب العلاقات السعودية مع مصر وسوريا من توترات بالغة في بعض الفترات».

كان الشيخ عبدالله بن مبارك الصباح يتمتّع بصفات قيادية وأخلاق عالية وكرم مشهود له، قال عنه الأستاذ فكري أباظة في عام 1958م: «إنه صنديد وبطل، استقبلني مفتوح القلب باسم الثغر وضّاء الجبين، فلما استهللنا الحديث بالشكر على الكرم والتكريم قطع علينا الكلام غاضباً محتجاً وقال: لا أسمح بهذا التعبير، أنتم هنا في بلدكم وفي وطنكم وفي بيتكم». ثمَّ يتابع أباظه فيقول: «إنَّ التجربة الطويلة والسجية العربية الأصيلة تضفي على تصرفات الشيخ عبدالله الإدارية والسياسية ولأحاديثه المختلفة سحراً وجاذبية؛ فهو بحق السهل الممتنع».

بعيداً عن السياسة

في سنة 1961 وهو في بداية الخمسينيات قدَّم استقالته من جميع مناصبه، وقرَّر عدم الدخول في الحياة السياسية، لكنه ظلَّ قريباً من أسرته آل الصباح حتى يوم وفاته فجر الخامس عشر من يونيو عام 1991م، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

مع جرحى حرب عام 1973

برنامج الراوي من إعداد وتقديم **جمال بن حويرب**

أنساب الخيول العربية القديمة والحديثة

من خلال كتابي ابن الكلبي وابن الأعرابي وبعض الكتب المعاصرة

مدارات ونقوش ـ دبي

روى العرب كثيراً من القصص القديمة حول الخيول العربية التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم قبل الإسلام، ولم يكن ما رووه مدوناً في مؤلفات وإنما رووه جيلاً بعد جيل، وقد حوت القصائد كثيراً من هذه القصص التي تصل إلى مستوى الأساطير، ولكنها كانت تطربهم ويتسامرون بها كما فعل أجدادنا منذ قرون في هذه الجزيرة العربية، وهم يتقاسمون مع عرب الصحراء الأوائل ولعهم بالخيول الأصيلة وفخرهم بها، ولاتزال بعض هذه المظاهر باقية حتى اليوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عندما بدأ الرواة في بداية الحضارة الإسلامية يسجلون ما يسمعونه من الروايات وهي كما ذكرنا لكم خليط من الحقيقة والأسطورة قام الذين أتوا من بعدهم من أهل التأليف بجمع هذه الروايات في كتب كما سنراه في مسرد كتب الخيل في القرون الأولى.

** ومن هذه التآليف الأولى التي أصبحت مرجعاً لكل المؤلفين من بعدهم كتاب «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (204 هـ) وكتاب «أسماء خيل العرب وفرسانها» لمحمد بن عبدالله الأعرابي (231 هـ) وقد اخترناهما لكثرة اعتناء المؤلفين بهما، وسنثبت بعض اختياراتنا منهما، أولاً عند ابن الكلبي:

زاد الركب أو زاد الراكب	حصان	للأزد	أول فرس عُرف عند العرب	من خيل النبي سليمان بن داوود
الهُجَيْس أو الهُجَيْسيّ	حصان	لبني تغلب	أبوه زاد الركب	أجود من زاد الركب
الدينارِيّ	حصان	لبكر بن وائل	أبوه الهُجَيْس	أجود من أبيه
أعوج	حصان	لبني هلال بن عامر	أبوه الدينارِيّ	في نسبه خلاف
ذو العُقَّال		لبني ثعلبة بن يربوع	أبوه أعوج	
الورد	حصان	لبني هاشم	من سلالة ذي العُقّال	كان لحمزة بن عبدالمطلب وقد قال فيه شعراً

** أما ابن الأعرابي في كتابه «أسماء خيل العرب» فأفرد لكل قبيلة أنساب خيولها، وهذا جدول بأهم ما جاء في كتابه:

الظرب، لزاز، السكب، المرتجز، ذو اللمة، اللُّحَيف	خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم	لبني هاشم
سَبْحة	جعفر بن أبي طالب	لبني هاشم
اليعسوب، معروف، ذو الخِمار، ذات النِّعال	الزبير بن العوام	لقريش
لاحق	سعد بن زيد الأشهلي	للأنصار
مندوب	أبو طلحة زيد بن سهل النجاري	للأنصار
الأغر، الأدهم، ابن النعامة	عنترة	لعبس

** هذه نماذج من أنساب الخيول العربية في هذين الكتابين، ومن أراد الاستفادة منهما فليبحث عن تحقيق الأستاذ أحمد زكي والدكتور حاتم الضامن.

جذور عربية أصيلة

يُرجح العارِفون بالخيل، أن فصائل الحصان العربي الخمسة مستمدة من ألوانها أو شيات (علامات) بها، فالكحيلان سميت كذلك لسواد ما حول عينيها، كأنه كحل، والعَبْيان سُميت بذلك لأنها ردت عباءة راكبها بذيلها. والشويمان سُميت كذلك لكثرة الشّامات في جسمها. والعرقوبيات لالتواء في عرقوبها. أمّا الصّقلاويات فسُميت بذلك لصقالة شعرها وسرعة عدوها.

تندرج تحت سلالة الحصان العربي الأصيل خمس فصائل رئيسة، يُعتقد أنها تنتمي للخيول الخمسة، وهي: الكحيلان، والصّقلاوية، والعَبيْان، والشّويمان وأم عَرْقوب، يدخل ضمنها 20 فصيلة رئيسة، تتفرع بدورها إلى 240 فصيلة فرعية. أما فصائل الحصان العربي من جهة الأم فقد أرجعها الباحثون إلى 23 فصيلة تعود في معظمها إلى أنواع ثلاثة هي: الكحيلان، والمعنّكي، والصّقلاوي، (قد تُبْدل الكاف قافاً في المعنكي فيصبح: المعنقي).

الكحيلان

يُعد أفضل الخيول العربية المُخَصّصة للركوب، وجماله ذُكوري الطابع، فحتى إناثه لا تخلو من مسحة ذكورية جميلة. ويتميز بكبر

حجمه، وضخامة عضلاته، ويغلب عليه اللون البُنّي، وتندرج تحت فصائله فروع عدة، منها:

(الحمداني والهدبان والشّويمان والرَّوْضان والوَدْنان والعجوز والجلابي والهيفي والكروشان).

الصّقلاوي

يعدُّ أفضل الخيول العربية لأغراض الاحتفالات، والمهرجانات، والاستعراضات، ويرجع ذلك إلى جماله الباهر الذي يطغى عليه الطابع الأنثوي حتى عند الفحول. ويمتاز عن الكحيلان برأسه الجميل، وجبهته العريضة، مع تَقَعُّر واضح في جانبيّ الأنف، وهو أقل حجماً من الكحيلان. ومن أهم فصائله لجهة أمه:

(الصقلاوي والعبيان والجدراني والدّهمان والزّيشان والطّويسان والموّاج والميلوا والشيفي والجدراني بن سودان).

المَعَنّكي

يمتاز بطول عنقه ورأسه، فاره الجسم، ضخم الحجم، إلّا أنه خشن المنخرين، وعيناه صغيرتان إذا قورنت بعيون الخيول العربية الأخرى. أكثر ما يُسْتَخدم لأغراض العدو والسباق. وتبقى الخيول المعنكية أصيلة ما دامت محافظة على صفاء سلالتها دون اختلاط مع السلالات الأخرى، لأن الاختلاط في أي مرحلة من مراحل تطورها يُفْسِد نسلها ويزيل أصالتها، وهو من السلالات العربية التي دخلت إلى أوروبا، ومن أشهرها:

الحصان العربي «دارلي» وهو الجد الأكبر للسلالة المعروفة «بالثروبيرد»، الذي كان معنكياً حَدْرياً. ومن أهم فروعه: (المَعَنّكي والجَلْفان والسّعدان، والسّمحان، وأبوعرقوب، والمخلّدي، والزّبدان، والسَّبيلي (نسبة إلى ابن سبيل) والحَدْري (نسبة إلى ابن حدر)، والكوبيشان).

ويذكر المؤرخ بوركهارت أن المماليك في مصر كانوا يُقَدِّرون سلالات الكحيلان المنحدرة من الصحراء، وينفقون الأموال الطائلة لتوليدها محلياً في مصر، وكانوا يتقيدون بالأساليب العربية في كل ما يتعلق بالخيل وتربيتها، كما عدّوا المعرفة بالخيل من علامات المكانة الاجتماعية الرفيعة، وكان أعظم شيء يُنفق عليه المال عندهم، هو إسطبل الخيل.

وأما السُّلالات الخمس التي يُعتد بها عند أهل نجد اليوم فهي: (الكَحيلاء، والعبيه، والصّقلاوية، والدّهماء والهَدْباء). وتختلف السُّلالات الأصيلة عند أهل نجد عنها عند البدو، إذ إن النجديين لا يعدون (المعنكية والجلفة) من نسل السُّلالات الخمس، بل يعتزون بنسل (الهَدْباء والدّهماء) كثيراً، ولا يستعملون أبداً نسل المنحدرة من أصل (الكحيلان) فحولاً، خلافاً للبدو.

ويرى بوركهارت أن هذه السلالات الخمس تتفرع إلى شعب كثيرة، فكل فرس جميلة سريعة العدو منحدرة من سلالة من تلك السلالات الخمس، يمكن أن تصبح أصلاً لفرع جديد يسمى أفراده باسمها، ولهذا فإن أسماء السلالات العربية في البادية لا تحصى.

وتتقسم سلالات الخيل المعاصرة إلى الآتي:

1. الخيول النجدية: وتعد أعرق السلالات، وهي طويلة الأعناق، صغيرة الرأس، جميلة القوام، قليلة لحم الوجه والخدين، دقيقة الآذان، عريضة الأكفال، رحبة البطون، غليظة الأفخاذ، وهي قوية جداً وسريعة تلوح على وجهها علامات الجدّ.

2. الخيول الحِجَازية: صلبة الحوافر، متينة الأرساغ (الرِّسغ الموضع المُسْتدَق بين الحافر والساق)، وذات أحداق حسناء سوداء، وليس لبدو الحجاز إلّا عدد قليل من الخيل.

3. الخيول اليَمَنِيَّة: غليظة القوائم، تميل أعناقها إلى القصر، وهي مدورة الأبدان، خشنة، خفيفة الأجناب، ذات حدة في أكفالها. ولا توجد باليمن أنواع جيدة إلا الخيول المجلوبة من نجد. ويُعتقد أن مناخ اليمن غير مناسب لتربية الخيل.

4. الخيول المِصْرِية: دقيقة القوائم، طويلة الأعناق والأرساغ، جيدة الحوافر، قليلة الشعر، حديدة الآذان، ويحتفظ عرب بني رشيد ومعزّى في صعيد مصر بسلالات من الخمس.

5. الخيول الشَّامية: وهي جميلة الألوان، واسعة العيون، كبيرة الأحداق، لينة الحوافر، جباهها صلعاء، ويُعتقد أنها من أفضل السّلالات وأنقاها اليوم.

6. الخيول المغربية: عظيمة الأعناق، عالية الوجوه، ضيقة المنخرين، غليظة القوائم، مدورة الأوظفة، طويلة السبيب.

ويضيف بوركهارت إلى هذه السلالات العربية سلالتين، هما:

- الثامرية وهي من نسل الكحيلان.
- النزاحي وهي من نسل الهدباء.

ولا يشير البدو في الصحراء عادة إلى شجرة نسب خيولهم العربية، وذلك لمعرفتهم التامة بأصول خيولهم وأنسابها كما يعرفون أصولهم وقبائلهم. ولكن حينما يأخذون خيولهم إلى أسواق المدن مثل البصرة أو بغداد أو حلب، أو دمشق أو المدينة المنورة، أو مكة فإنهم يحملون معهم شجرة نسب مكتوبة يعرضونها على المشتري.

أماكن وتواريخ في رحلة الخيل العربي إلى أوروبا وأميركا

مدارات ونقوش ـ دبي

وصل الحصان العربي إلى كلِّ أنحاء العالم من خلال الفتوحات أو الإهداءات أو الاقتناء من المرابط، فضلاً عمّا كتبه الرحالة أو ما دوّنه المؤرخون عن واحد من أجمل وأنبل المخلوقات التي صادقت الإنسان منذ فجر البشرية. ولكل بلد حكايتها مع الخيل العربي، وهي حكايات تشبه البحر لجمالها وكثرتها، لكننا هنا نضع بعض الأرقام التاريخية (التقريبية) عن رحلة الخيل من بلاد العرب إلى أصقاع العالم.

710

دخل الحصان العربي إلى الأندلس مع فتحها على يد طارق بن زياد عام 710م؛ فقد جلب الفاتحون معهم الكثير من الخيول العربية والبربرية.

1511

دخل الحصان إلى أمريكا عام 1511م مع المغامر فردنانز كورتز، وكان مجموع ما جلبه 11 فحلاً وخمس إناث من الخيول الأندلسية ذات الأصل العربي.

1616

الملك الإنجليزي جيمس الأول ملك إنجلترا استورد أول فحل عربي إلى إنجلترا عام 1616.

1690

من أهم الخيول العربية التي دخلت إلى بريطانيا، الحصان تركي بيرلي، وينسب إلى الضابط الإنجليزي بيرلي الذي استولى على هذا الحصان من أحد الباشوات الأتراك في معركة كالينبرج وأدخله إلى بريطانيا عام 1690م.

1729

الحصان العربي غولدفين كان هدية من باي تونس إلى الملك الفرنسي لودفيك الخامس، ونُقل عام 1729م إلى إنجلترا، فاشتراه السيد غولدفين الذي سُمي باسمه.

1770

دخل الحصان العربي إلى روسيا منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي، إلا أنَّ دخوله رسمياً كان على يد الأمير أورلو عام 1770م، عندما حصل على 39 حصاناً أصيلاً من بينها 9 إناث والفحل سمتانكا الذي يعدُّ السلف الأكبر لسلالة الأرلوف الروسية.

1798

تذكر الوثائق التاريخية أنَّ نابليون بونابرت جلب إلى فرنسا عام 1798م بعد معركة الأهرام الكثير من خيول المماليك التي غنمها من المعركة.

1817

أنشئ أول مربط للحصان العربي في ألمانيا عام 1817م في مدينة فيل في عهد الملك فيلهلم الأول.

1818

دخلت الخيول العربية إلى المجر والنمسا من خلال الجيش العثماني الذي كان يمتلك معظم قادته من الباشوات الخيول العربية الأصيلة، وقد أدى ذلك إلى اختلاط الخيول المحلية بالخيول العربية.

1819

جلب الأمير فاتسلاف رتسفسكي عام 1819م، إلى بولونيا 123 جواداً عربياً أصيلاً من سوريا.

1877

الليدي آن بلنت ابنة، شاعر وزوجة شاعر، سافرت في رحلة طويلة إلى الشرق؛ فزارت حلب وبغداد ودمشق والجزيرة العربية ومصر منذ العام 1877، وتيسر لها هناك التعرُّف إلى الخيل العربية عن كثب، ووضعت كتباً عدة عن رحلتها، وأنشأت أحد أهم مرابط الخيول في العالم.

كتاب الخمسة

دراسة حول الحصان العربي الأصيل

*محمد التداوي

صورة تعود لنهايات القرن التاسع عشر لحصان عربي أصيل فارسه من سورية

لا أنسى أبداً أوّل مرة رأيت فيها حصاناً يرقص في أحد الأفراح على أنغام موسيقى إيقاعية، مبدلاً أقدامه الأربع في القفز بصورة متناسقة تلقي شيئاً عظيماً من البهجة المغلفة بالفضول، لمعرفة كيف استطاع ذلك الحصان الرقص بهذه الطريقة البديعة؟ سؤالي وقتها كانت إجابته الوحيدة والأكيدة، أنه حصانٌ عربيٌّ أصيل. ولكن ماذا يعني حصان عربي أصيل؟ ولماذا الحصان العربي دون غيره يستطيع ذلك؟ وتساؤلات أخرى كثيرة استمرت معي إلى أن طواها النسيان حتى وقت قريب وقع بين يديَّ مخطوط قديم، حيث يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، كاتبه غير عربي هو الأوروبي الإيطالي كلاوديو جاورماني من مدينة ليفورنو، كما ذكر على غلاف الطبعة الثانية من كتابه المطبوع في مدينة القدس سنة 1864م بطبعته الثانية المعدلة والتي سبقتها بسنتين طبعة أولى في مدينة بولونيا الإيطالية، الاختلاف بينهما يبدأ بتقديم الكتاب من قِبَل البروفيسور انسالدي الذي أثنى على الكاتب وكتابه في مقدمته التي فنَّد فيها ميزات كتاب كتبه رحّالة لم يسبق له مثيل في إتقان ما قام به، وما قام به هو مغامرة بكل المقاييس، لكنها مغامرة محسوبة لأنه تجهّز لها، وأعدَّ لها جيداً، تلك المغامرة كانت الولوج إلى عالم الصحراء والبداوة، ليس الآن، بل منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان. لذلك استعنت بأصدقاء من متخصصي القواميس الإيطالية، وقدَّمت لهم كلَّ الشكر على المساعدة على الوصول إلى بعض المعاني المقصودة من الكاتب. ولتكن فقرة من مقدمة البروفيسور انسالدي فيليتي من بولونيا.

قصة الكتاب تبدأ بكاتبه نفسه، وهو مغامر إيطالي كان من نصيبه أن يعمل والده في الشرق تحديداً وانتهى به المطاف عاملاً للبريد في مدينة القدس، تلك المدينة التي تجمع وتقسم عالمي الشرق والغرب وما بينهما، تلك المدينة التي كانت تعدُّ واحدة من أهمِّ الأسواق التي يشتري منها الأوروبيون ما يلزمهم من منتجات العرب وصحرائهم، مع دمشق وحلب والقاهرة. هو لم يكتفِ بالسوق ولا المدينة، وإنما خرج في رحلات يستكشف هذا العالم الأسطوري بالنسبة إليه، ولم تكن تشغله الراحة كثيراً؛ فحياة الصحراء غير حياة المدينة، أنت في الصحراء تعيش وحيداً إلا من عالمك، وعالمه بدأ يكونه بمعرفة اللغة العربية، ولهجات البلاد التي زارها والعادات، وتطور الأمر لصداقات مع بدو رحل أخذوه إلى عالمهم، وأفشوا له بعض أسرارهم، وهو فنَّد وقاس وقرأ في كتب الأولين، وتعلَّم في رحلة طويلة زار خلالها مصر وسورية وفلسطين وصحراء العرب ونجد.

نص مترجم من الكتاب

انتقلت من مصر إلى فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة (يقصد ما يخصُّ الكاثوليك) ونيتي من المغامرة هي التعرف إلى تلك الأماكن، وبالتالي عمل صداقة مع السيد كارلو جاورماني الساكن في مدينة القدس. كاتب الخمسة طلب مني أن أقرأ مخطوطه الذي لا يقارن، وأوكل إليَّ مهمة ترجمته لتقديمه إلى الملك فيكتور إيمانويل الثاني، ينصح بذلك من قِبَل شخصية رسمية ثمَّ في سوريا لشراء فحول الخيل. يظهر جلياً أنَّ الهدف من التعرُّف إلى ما في داخل الكتاب ما هو إلا نصائح ثمينة لمن يودُّ اقتناء الخيول العربية الأصيلة.

كتاب وضعه مغامر إيطالي كان من نصيبه أن يعمل والده في الشرق وانتهى به المطاف عاملاً للبريد في مدينة القدس

هواة الخيل

بدأ كتابه بنقد ما هو متداول من أخبار مغلوطة ومعلومات تستند إلى الرواية أكثر من التجربة بين الأوروبيين، عن العرب والخيل العربي. بالطبع هذا المقال ما هو إلا مقدمة بسيطة لكم هائلٍ من المعلومات والتفاصيل والأسماء والحكايات، وستمتع حتماً من يقرأه من هواة الخيل والأدب والتاريخ والمغامرات. وهناك حقيقة لا يجب إنكارها، هي تميُّز وتفرُّد كلاوديو جاورماني بمهارات خاصة جعلته يصحِّح معلومات قديمة بالية كانت متداولة في أوروبا في تلك الفترة وما سبقها، وتلك المهارة وهذا التفنيد جعل الحديث عنه كجاسوس مثل باقي الرحَّالة الذين زاروا الشرق في عصور الجهل والتراجع شيئاً طبيعياً، ولم يلتفت أحد لما ضمَّه مخطوطه من معلومات قيمة حول الحصان العربي الأصيل، إلى أن استقرَّ رأي الكاتب والمؤرخ جمال بن حويرب على ترجمته ونقله إلى العربية عبر مركز جمال بن حويرب للدراسات. ومن مقولة: «ليس بحق من لم يعترف بحق»، أثنى هو على كتّاب سبقوه بالحديث المتخصِّص عن الخيول وخاصة العربية منها، وأوّل من تكلَّم بعلم تجريبي من وجهة نظره، العربي أبوبكر بن بدر، كبير بياطرة إسطبلات السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وصاحب كتاب «كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة»، وكتاب أبوبكر شهير أيضاً باسم آخر هو «الكتاب الناصري»، نسبة إلى السلطان المملوكي. وذكر أيضاً كاتباً آخر شهيراً عايشه، هو الجنرال الكساندر دوما، الذي ذكر عنه تأليفه لكتاب مهم أسماه «خيول الصحراء» وذكر فيه أسرار حول الخيول العربية أفضى بها إليه الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري 1808 ـ 1883م. ودوما هذا، المقصود به الأب وهو الأشهر، وصاحب رواية الكونت دي مونت كريستو. وأعتقد أنَّ كتابه عن خيول الصحراء سيكون حتماً مهماً لما يحويه من معلومات تاريخية، وعلاقة لأول مرّة أسمع عنها بينه وبين الأمير عبدالقادر الجزائري. أحد أهم الأسرار والنصائح التي وجهها لمن أحبَّ أن يشتري الخيل العربي الأصيل نقي الدم، كما يكتبها هو، إن ترجمناها ترجمة حرفية، فإنَّ العظام الكبيرة للحصان هي دليل ضعف، وإنَّ صِغَرَ عظام الحصان العربي هي ما يميزه، وهي ما تعطي عضلاته مساحة أوسع للتمدُّد، وبالتالي سرعة في الحركة على خلاف أصحاب العظام الكبيرة مثل الحصان الإنجليزي.

والحقيقة أنَّ جاورماني ذكر في الجزء الأول من الكتاب، أنه أخذ الاسم من حديث مشهور وقتها نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم، وإن لم يذكر متن الحديث صراحة في كتابه ولا حتى ترجمة عنه، وإنما ذكر فقط ما يؤكد أنَّ الخمسة تخصُّ السلالات.

هنا سأقدم لكم فقرة من مقدمة كتاب جاورماني مترجماً، وهو مكتوب بإيطالية قديمة واستخدم في كتابته مفردات غير مستعملة الآن، تقديم كارلو جاورماني للطبعة الثانية: حينما عدت العام الماضي إلى مدينة

لوحة حصان عربي أصيل

غلاف كتاب الخمسة

القدس (ذكرها دائماً أورشليم) من رحلتي إلى نجد ووسط الصحراء العربية، الطبعة الأولى من كتاب (الخمسة) والذي طبع في مدينة بولونيا 1862م، ولم تتأخر بعض النسخ في الوصول إلى يدي، قرأت وأعدت قراءة عملي هذا بكل الاهتمام الذي يحيي الدراسة دائماً بطريقة تجعلني أحاول النقد كما لو لم أكن أنا الكاتب. بهذه الفقرة المثيرة من مقدمة الكاتب لطبعته الثانية، أترككم إلى شغف الانتظار حتى نصدر ترجمته كأول من ينقله للعربية، حيث بحثت عن أي ترجمة لهذا الكتاب المميز ولكني لم أجد غير ترجمات إلى لغات أخرى مثل الإنجليزية.

في النهاية أود أن أورد صفات ظاهرية للحصان العربي، ولنبدأ بالرأس وهي أعلى ما فيه وتميزه عن باقي الأنواع، وهي ناعمة الملمس ويستدل بها على أصالته، إضافة إلى أذنيه المنتصبتين وعرض جبهته وطول عنقه وتقوسه البسيط، وصدره الواسع مقارنة بجسده الصغير، وضيق الخصر به رشاقة يلاحظها حتى غير متخصص في أنواع وسلالات الخيل، وكما ميزه الرأس، ميَّزه أيضاً ذيله المرتفع الذي ينتهي بخصلة شعر طويلة، وجمال الحصان العربي جعله مادة دسمة للرسامين عبر العصور وتزدان بلوحات الخيل العربي غالبية متاحف العالم.

*باحث في التاريخ

الحـداوي

ما يقوله الأجداد على صهوات الجياد

مدارات ونقوش ـ دبي

الحداء معروف عند العرب منذ أزمان بعيدة، وقد نسج العرب بعض الأساطير حول بداية الحداء وزعموا بأنَّ أوَّلَ من حدا رجلٌ من مضر، وقيل مضر بن نزار نفسه، وقد روي في الحديث عن عبدالله بن عباس، رضي الله عنه، كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في سفرٍ فسمع صوتَ حادٍ يحدو فقال: مِيلوا بنا إليه، فقال: ممَّنِ القومُ؟ قالوا: من مُضَر، قال: وأنا من مُضَر، قالوا: إنَّا أوَّل مَن حدا، قال: وكيف قال: كان غلامٌ لنا ومعه إبلٌ فنام فتفرَّقتِ الإبلُ عنه فجاء صاحبُه فضرَبه على يدِه فجعَل يقول: وايداه وايداه فجعَلَتِ الإبلُ تجتَمِعُ إليه.

هذا الحديث، إن صحَّ سنده، فيه دلالة على أنَّ أوَّل من حدا الإبل من مُضر، وسكت عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ما قد يدلُّ على صحة القصة التي كان يتناقلها المضريون في ذلك الوقت. وقد أثبتها علماء التاريخ الإسلامي في القرون الأولى، ومن العجب أني كنت أستمع إلى بعضٍ من حداء البدو في الجزيرة العربية واليمن، فكأني أسمعهم يحدون «وايداه وايداه» كما فعل ذلك المضري، وكأنها لم تتوقَّف العادة منذ القرون الماضية حتى اليوم إلى أن يشاء الله.

أصل التسمية

يقول المؤرخون، إنَّ أصل الغناء العربي بدأ من الحداء، وهذه المادة (ح د ا) كما يقول المعجميون أصلٌ واحد، وهو السَّوق. يقال حدا بإبله: زجَر بها وغَنَّى لها، وواحده أحديّة وأحدوّة، وهذا يدل على أنَّ الحداء جمع، ويقال أيضاً للسهم إذا مرَّ: حداه رِيشُه، ويقال حدوته على كذا أي سقته

الحداء أصله الزجر والمنازعة والسوق وهو الذي اشتق منه معنى الغناء للإبل من أجل حثها على السير وعدم تعبها أو ترغيبها في ورد الماء

وبعثته إليه، وريح الشمال يسميها العرب حدواء؛ لأنها تحدو السحاب، أي تسوقه، والتحدي المباراة والمنازعة تقول للخصم أنا حديّاك، وعلى هذا الحداء أصله الزجر والمنازعة والسوق وهو الذي اشتق منه معنى الغناء للإبل، من أجل حثها على السير وعدم تعبها أو ترغيبها في ورد الماء. وفي ذلك يقول كشاجم:

إن كنتَ تنكر أنّ في

الألحان فائدةً ونفعا

فانظر إلى الإبل التي

هي ويك أغلظ منك طبعا

تصغي لأصوات الحداةِ

فتقطع الفلواتِ قطعا

ومن العجائب أنهمْ

يضمونها خمساً وربعا

فإذا تورّدت الحياض

وحاولت في الماء كرعا

وتشوّقت للصوت منْ

حادٍ تصيخ إليه سمعا

ذهلت عن الماء الذي

تلتذه برداً ونقعا

ومن الحداء القديم ما يروى عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

يا حبذا السير بأرض الكوفهْ

أرض سواء سهلة معروفهْ

تعرفها جمالنا المعروفهْ

ويروى عن حادٍ من عمان يحدو إبله ويقول:

كأنما أصواتها في الوادي

أصوات حج من عُمان عادي

بحر الرجز

والحداء يكون على بحر الرجز، الذي لم يعده العرب في الجاهلية وأوّل الإسلام من الشعر، حتى ظهر كبار الرجّازين العرب من أمثال أبو النجم العجلي، والعجّاج وابنه رؤبة ورفعوا من شأنه.

وكذلك حداء الخيل، وهو فنٌّ تعارف عليه الناس في البادية العربية منذ قرون، ويكون أيضاً على وزن الرجز وغالباً ما يكون من فرسان لم يُعْرَفوا بقرض الأشعار، ويعنّ لنا سؤال:

* هل عرف العرب الأوائل حداء الخيل؟

** الجواب: بعد بحث طويل وجدت أنه لم يُرْوَ عن العرب الأوائل أنَّ الحداء يكون للخيل، ولهذا لم يرد قط في شعرهم ولا في نثرهم، ولم يثبته علماء عصور التدوين الأولى، وإنما كان مقصوراً على الإبل وهذا ما يجعلنا نتوقّف قليلاً ونتساءل: كيف شاع هذا الاستعمال عند العرب المتأخرين من الحاضرة والبادية خاصة في الجزيرة العربية، فأطلقوا الحداء على أشعار فرسانهم التي تتكوّن من بيتين وثلاثة بيوت وقد تزيد قليلاً، وأكثرهم لم يكونوا يُعْرَفون بالشعر، إنما يقولون البيت والبيتين في ساحات الحروب لبثّ الحماس في نفوس المقاتلين ويجمعونها على حداوي، وربما كان حداء الخيل موجوداً ولكن لم يهتم العلماء بأخباره؛ لأنه قليل، وهذا أستبعده لأنهم لم يتركوا شيئاً إلا وقيّدوه. وقد يكون الفرسان أخذوا يحدون خيلهم بأشعارهم وأصواتهم الندية كما كان العرب يفعلون بإبلهم فشاع بين المتأخرين، وهذا أيضاً أستبعده لأنَّ الفرسان العرب منذ آلاف السنين يركبون الإبل والخيل ولم يُرْوَ عنهم أنهم حدوا بخيلهم، ولهذا قد يكون الاشتقاق من التحدي، وهو من مادة الحدا نفسها وفي معناها كما ذكرت سابقاً، ويؤكد ذلك أنَّ حداوي الخيل بدأ ينشدها الفرسان الأبطال في الحروب، لحثّ نفوسهم وقومهم للنصر أو الموت دون شرفهم.

«التشـوليب» فـي الإمـارات هـو الحـداوي نفسـه المعـروف وهـو شـعر يـؤدى علـى ظهـور الخيـل

دليل الأنساب

- يقـول الدكتـور سـعد الصويـان فـي مقدمـة كتـاب حـداء الخيـل لمؤلفـه تركـي العتيبـي:

«الحداوي جنس متميز من أجناس الشعر قد يحتلُّ مركزاً ثانوياً من حيث قيمته الفنية والأدبية لكنه يستمد أهميته من أهمية الأحداث التي تخلده، وهي غالباً ما تكون من الأحداث القبلية الكبرى كما يستمد أهميته من أهمية قائليه. ولذا فإنَّ شعر الحداوي يعدُّ وثائق شفهية لا يستغني عنه من يريد دراسة التاريخ القبلي في الجزيرة». ويضيف الصويان: «والحداوي أيضاً لها أهمية خاصة لمن لهم عناية بدراسة أنساب الخيل، وغالباً ما يقولها الفرسان وهم يمتطون صهوات الجياد في الطريق إلى المعركة أو بعد العودة منها، ولذا تزخر الحداوي بذكر الخيل ونعتها ونعت سلالتها وطرق استنسالها وتدريبها والعناية بها».

- ويقول عنها ابن خميس في كتابه النفيس الأب الشعبي: «فن الحداوي خاص بصهوات الجياد.. وهو لا يكون إلا في الفخر والحماسة، حيث الكر والفر».

وللأحديات موضوعات شتى؛ فمنها لوصف الخيل ومنها للنصيحة وفي القتال والنزول على مياه الخصوم أو تخليد لمقتل فارس له شهرة بين القبائل، وتقال أيضاً في الغزل ومخاطبة الشيوخ. ونحن يعنينا هنا ما جاء في وصف الخيل، **يقول الملك عبدالعزيز، طيّب الله ثراه:**

الغـوج رديتـه بتـال الخـيل

يوم ادبحن الخيل بالفرسانِ

لعيون من ريحه زباد وهيل

شامت عن الجاهل تبي الشيبانِ

وقول: مناحي الهيضل:

لـي مهـرةٍ فيهـا دحـم

تلحـق بعـرقٍ فيـه ريش

وقول جرمان بن محيا:

يا ليتني حضرتهم يوم الصياح

ليلـة يلمـون الجـرود

من فوق غوجٍ توعديه فـاح

يمـرق ولا فوقـه شـرود

وإن كان ما قدمي خصيمي طاح

ولا انذروا غـض النهـود

وقد يكون «التشوليب» عندنا في الإمارات هو الحداوي نفسه المعروف، وهو شعر يُؤَدَّى على ظهور الخيل. ومن الأشعار المشهورة في هذا الفن أبيات الشيخ بطي بن سهيل حاكم دبي، رحمه الله، ورد الشيخ سلطان بن زايد الأول حاكم أبوظبي، رحمه الله، عليها. وفي مقال ربدان في هذا العدد من المجلة تفصيل لأبيات الشيخ بطي وقصتها وهو على نفس وزن الأحدية وأسلوبها وموضوعها.

مؤلفات في حداء الخيل:

- الحداوي للأمير محمد الأحمد السديري
- حداء الخيل للدكتور سعد الصويان
- حداء الخيل للأستاذ أحمد العريفي
- حداء الخيل عند قبيلة عتيبة للأستاذ تركي بن مطلق العتيبي
- أحديات وألقاب من قبيلة حرب للأستاذ فائز البدراني

كتبُ الخيل في فهرست ابن النديم

يعدُّ كتاب الفهرست لابن النديم أوَّل كتاب في كشافات الكتب يصل إلينا من كتب القرون الإسلامية الأولى سنة 377هـ، ولكنه لم يكمله إذ توفي سنة 385هـ، وجاء من بعده ابن المغربي وحاول إكماله سنة 418هـ، ولم نعثر حتى الآن على هذه التكملة. وما يهمنا في مبحثنا هذا من كتاب«الفهرست» أن نحصر ما ذكره ابن النديم عن المؤلفات الخاصة بالخيل، مما يدل على اهتمام بالغ بالتأليف حول الخيول العربية وأنسابها، وبيطرتها وتاريخها، وأخبار فرسانها في القرون الأولى الإسلامية كما سنراه في هذا الجدول التالي:

بعكس ما نراه اليوم من توقف عربي عن التأليف عنها إلا ما ندر، وفي الوقت نفسه نجد اهتماماً كبيراً من المؤلفين الغربيين بالتأليف غير المنقطع عنها منذ قرون.

اسم الكتاب	التاريخ	التخصص	اسم المؤلف
كتاب الخيل	247 هـ تقريباً	أديب لغوي	أبو مالك عمرو بن كركرة
كتاب الخيل	248 هـ	أديب لغوي	أبو محلم الشيباني
كتاب الخيل	228 - 310 هـ	أديب لغوي	محمد بن العباس اليزيدي
كتاب الخيل كتاب حضر الخيل كتاب أسماء الخيل	110 - 209 هـ	أديب لغوي	أبو عبيدة معمر بن المثنى
كتاب الخيل	216 - 221 هـ	أديب لغوي	الأصمعي
كتاب الخيل	231 هـ	أديب لغوي	أحمد بن حاتم
كتاب الخيل		أديب لغوي	أبو محمد الثوري
كتاب الخيل	257 هـ	أديب لغوي	العباس الرياشي

اسم الكتاب	التاريخ	التخصص	اسم المؤلف
كتاب الخيل الكبير كتاب الخيل الصغير	321 هـ	أديب لغوي	ابن دريد
كتاب الخيل	206 هـ	أديب لغوي	أبو عمر الشيباني
كتاب الخيل كتاب نسب الخيل	231 هـ	أديب لغوي	ابن الأعرابي
كتاب خلق الخيل	كان حياً قبل 216 هـ	أديب لغوي	هشام الكرماني
كتاب الخيل	276 هـ	أديب لغوي	ابن قتيبة الدينوري
كتاب الخيل	250 هـ تقريباً	مقرئ ونحوي	إبراهيم بن سعدان الكوفي
كتاب أنساب الخيل	204 هـ	راوية ومؤرخ	هشام بن محمد الكلبي
كتاب الخيل والرهان	225 هـ	راوية ومؤرخ	الحارث المدائني
كتاب الخيل	245 هـ	مؤرخ لغوي	محمد بن حبيب السكري
كتاب الحلاب وأجر الخيل	232 هـ	راوية إخباري	محمد بن سلّام الجمحي
كتاب الخيل	339 هـ	محدث إخباري	عمر بن الحسن الأشناني القاضي
كتاب الخيل	220 هـ	شاعر وأديب	كلثوم الثعلبي العتابي
كتاب الخيل	228 هـ	شاعر وأديب	محمد العتبي
كتاب الخيل	280 هـ	أديب	أبو الفضل بن أبي طاهر
كتاب الفروسية وشيات الخيل	250 هـ تقريباً	مدرب خيول بيطري	ابن أخت حزام

الخيول العربية

الليدي
آن بلنت

عاشقة الخيول العربية

حكاية امرأة إنجليزية مغامرة جابت الشرق وشُغِفَت بسحره وأتقنت العربية بطلاقة

كانت الرحلات الأوروبية إلى الشرق متنوعة المقاصد؛ فمنها الرحلات الاستكشافية لأغراض استعمارية، ومنها التجارية، ومنها للسياحة ومعرفة العرب والصحراء والبحث عن الخيول العربية حتى هاموا في سحر الشرق العربي، وتركوا بلادهم وأقاموا بيننا طيلة حياتهم. ومن هؤلاء الليدي آن بلنت وزوجها ويلفرد بلنت، ومن يقرأ سيرتهم وما تركوه من مؤلفات فسيعرف هذه العاشقة للخيول العربية الأصيلة، فمن هي الليدي آن بلنت؟

ولدت الليدي آن بلنت عام 1837م في بريطانيا، وعاشت في كنف والدها الذي كان من نبلاء الإنجليز، تلقّت تعليمها في المنزل، وأُولِعَت بالخيول منذ صغرها، وكان من حظها أن رُزِقَت بزوج يشاركها هذا الحب.

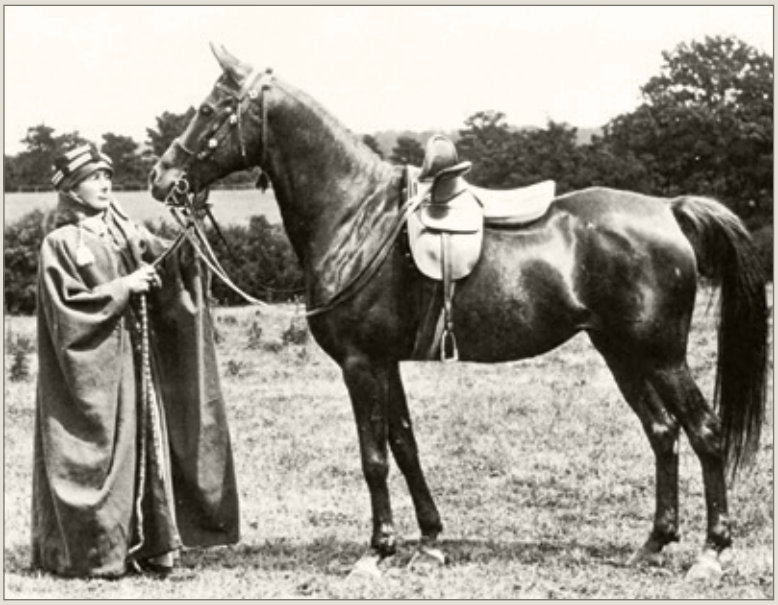

الليدي آن بلنت باللباس العربي مع فرس عربية

سحر الشرق

بعد أربع سنوات من زواجها من ويلفرد بلنت، قرَّرا عام 1873 السفر إلى الشرق، استهل الزوجان الشابان أولى رحلاتهما الصحراوية المتعددة إلى كل من الجزائر ومصر والعراق والجزيرة العربية، وكانت هي المرأة الوحيدة من بين أفراد القافلة، ومن ثمار هذه الرحلات كتابان: «قبائل بدو الفرات» وصدر عام 1879م، و«الحج رحلة إلى نجد» الذي صدر عام 1881م، والليدي بلنت تتقن اللغة العربية، إلى جانب إتقانها بطلاقة اللغات التالية: الفرنسية والإيطالية والإسبانية والألمانية. وفي عام 1878 قرَّر الزوجان استيراد ستة خيول عربية إلى إنجلترا.

حب مصر

وافتتحا إصطبل كرابت للخيول العربية عام 1878، وبعد أربع سنوات وصلت هي وزوجها إلى القاهرة، وفي عام 1882 اشتريا مزرعة وإسطبل الشيخ عبيد بمساحة تقدَّر بـ 36 فداناً تحتوي على أشجار الفاكهة ونباتات للرعي خارج المدينة، وأقاما هناك مزرعة لتربية الخيول التي يمتلكانها في مصر.

بعد انفصالها عن زوجها أوكلت إدارة مزرعتها وإسطبلها إلى ابنتها جوديث، وغادرت بريطانيا عام 1915، وأمضت السنوات المتبقية من حياتها في مزرعة الشيخ عبيد، وتوفيت في القاهرة عام 1917م.

وقد اخترنا لكم هذا الجزء من رحلتها وحديثها عن الخيول العربية، تقول الليدي آن:

تُعَدُّ مجموعة خيول ابن رشيد الأشهر حالياً في جزيرة العرب، ولقد حَلَّت بنظر العامَّة مَحَلَّ مجموعة فيصل بن سعود، والتي رآها المستر بالغريف في الرياض قبل ستة عشر عاماً، ووصفها بمقاطع تصويرية حيَّة لا تزال تُقْتَبَسُ منذ ذلك الحين، ويمكن تفسير ذلك الانتقال بالتغيرات السياسية التي حدثت عام 1865م، ولا يُعدُّ محمد بن رشيد الأمير الأقوى بين شيوخ البادية فحسب، بل الأغنى أيضاً، وقد هيَّأه ذلك ليكون أقدرهم على اقتناء خيرة خيل نجد، وقد أولى هذا الأمر عناية خاصة.

تُعدُّ حيازة الأفراس الأصيلة مصدراً للقوة والسيادة بين العرب، وإذا تحرَّينا الحقيقة فإنَّ المتبقي من مجموعة الخيل القديمة في الرياض هو أقل من عشرين في المائة.

ولعلَّ مجموعة (الإمام) فيصل كانت

الأفضل في جزيرة العرب آنذاك، وقد لا توجد مجموعة أخرى تضاهيها، إلا أنَّ ذلك لا يستدعي القول باختلافها عمّا رأيناه بأنفسنا، ولا بأن خيولها تتميّز عن تلك التي تملكها القبائل البدوية المختلفة، بل دلَّت استقصاءاتنا على ضد ذلك. على أنه من الخطأ الافتراض أنَّ خيل الأمراء في الرياض كانت من أرسان متميزة، أو أنها محفوظة في مُدُن العارض منذ زمن بعيد، أو أنها تختلف عن أيَّة أرسان أخرى في وسط الجزيرة العربية، بل كانت مجموعة فيصل كما أُكِّدَ لنا مراراً قد جُمِعَت من مختلف قبائل صحراء النفود، ولا شكَّ بأنها كانت ذات مستوى عالٍ، إلا أنَّ مصدرها في النهاية هو الجمع من البدو، وكنَّا كلما سألنا بدوياً؛ ضَحِكَ من فكرة وجود أرسان نجديَّة.

ثم أُخْبِرْتُ بأنَّ البعثات من الرياض في زمن (الإمام) فيصل كانت تُرْسَلُ في طلب الأفراس أينما وُجِدَت، كما أنَّ الأمير كان يقوم بغزو بعض القبائل بهدف الحصول على رأس من رسنٍ مُعَيَّن، ولقد حصل فيصل على أفضلها، وهي: الحمدانية السَّمْرية، وكحيلة كروش من قبيلة مطير وتسمّى أحياناً الدُّوشان، بينما كانت قبائل بني خالد والظفير وشمَّر تُمِدُّهُ بأنواع عادية، ولا يزال خَلَفُهُ عبدالله بن سعود يمتلك بعضها، إلا أنَّ معظم المجموعة قد اختفى، ووصل أَفْضَلُها إلى أيدي متعب وبندر سَلَفَيْ محمد بن رشيد.

ويَتَّبِعُ محمد بن رشيد الطريقة نفسها، فهو يشتريها من كل القبائل المجاورة، ومع أنَّه يُزاوجها في المدينة فهو يجلب المزيد لمجموعته من الخارج، ولا شكَّ في أنَّ هذه الأنواع ستفقد أصالتها، نظراً لأنَّ الخيول المستولدة في مدن الجزيرة تُغَذَّى في مرابطها، ولا تُمارس أي نوع من التدريب، وتكاد لا تصلح للكثيرين.

وهناك انطباع خاطئ بأنَّ الواحات، كالتي في جبل شمَّر والعارض، هي مناطق مهيَّأة لتربية الخيل، وأنَّ القفار الرملية خالية من المراعي، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً.

سلالات خيل ابن رشيد

أمّا بالنسبة إلى مجموعة خيل ابن رشيد في حائل، فقد قمنا بزيارتها في إصطبلاتها لثلاث مرات أو أربع، وشاهدناها مرةً واحدةً في الاحتفال، حيثُ عُنِيَ بكل رأسٍ ليظهر على أتمِّ حال، وهناك الآن أوصافاً لبعض الأفراس المتميزة، كتبتها بعد واحدةٍ من زياراتنا إلى الإصطبل، وستقدم هذه الأوصاف فكرةً أفضل من أي ملاحظاتٍ عامَّة، وإليك مقتطفات من دفتر الملاحظات:

1 - كحيلة كروش الشقراء.

محجّلة الثلاث، مُطلقة اليمين، بارتفاع (14) أو (14.1) قبضة، وتساوي (56.4 - 56) إنشاً، قويَّة جداً، رأسها أكثر بساطة من أغلب الخيل هنا، ويُعدُّ هذا النوع من الرؤوس الجيدة في إنجلترا، ولها رقبةٌ عريضة، وأكتافٌ جميلة، وحارِكٌ مرتفع، وقوائم كالفولاذ، وقطاتها غليظة بلا جدال، وعلى كعبيها شعر كثيف.

ويُخَيَّل للمرء إذا رآها عند معلفها أنها قويَّةٌ أكثر من كونها جميلة، ومع ذلك فعندما نراها تخبُّ والأمير على ظهرها لا يسعنا سوى إبداء الإعجاب بها، كما أنَّها الفرس المفضَّلة للأمير في الحرب، وتعدُّ من أنقى الدماء في نجد، وكان ابن رشيد يحصل عليها من إصطبلات ابن سعود في الرِّياض، وهي أصلاً من خيل مطير.

2 - الحمدانيَّة السَّمْرِيَّة الحمراء.

وهي أيضاً من مجموعة ابن سعود، رأسها جميل لكن ليس فيها أي ميزات أخرى، وتعود هذه الفرس وفرسنا شريفة للرسن نفسه، لكنها أدنى مرتبة من شريفة.

3- الصَّقْلاوِيَّة الشعيفِيَّة الزرقاء.

تبدو عاديَّة للوهلة الأولى، لها أرداف منحنية مترهلة، ورأسها عادي، لكن أكتافها جميلة، وتمتلك هذه الصقلاوية الشعيفِيَّة شهرةً واسعةً هنا، وتعدُّ ذات قيمة، لكونها الأخيرة من رسنها.

وقد بِيعَت آخر بنات هذه الفرس المشهورة إلى عبَّاس باشا، الذي أرسل عربةً تجرُّها الثيرانُ من مصر خصيصاً لنقلها، إذ كانت كبيرةً في السن، وغير قادرةٍ على

القصر الوردي العائد إلى الليدي بلنت مع إصطبلات (الشيخ عبيد) في مصر

صورة زيتية مرسومة لليدي بلنت في مزرعة الشيخ عبيد بالقاهرة

كتابا «قبائل بدو الفرات» و «الحج رحلة إلى نجد» ثمار سنوات طويلة في ربوع العرب

الليدي آن بلنت

الليدي آن وابنتها

السفر مشياً، وهذه القصة معروفة هنا، ورُوِيَت تماماً كما سمعناها في الشمال، إضافة إلى أنَّ فرس ابن رشيد هي الممثلة الوحيدة المتبقية للرَّسَنِ في جزيرة العرب، وتروي الأخبار أنَّ فرس عباس باشا قد أنجبت مُهْرَيْن في مصر، مات أحدهما، وأُهْدِيَ الآخر إلى ملك إيطاليا، وبقي نتاجه في حوزته.

4 - كحيلة العجوز الكميت.

يبلغ ارتفاعها (14.2) قبضة، وتساوي (56.8) إنشاً، لها رجلٌ محجلة، وهي رائعة بمجملها، بأكتافها وقطاتها، ولها أجمل رأس وأوسع عينين هنا، وحركتها مثاليَّة، وحركة رأسها وذيلها تبلغ حدَّ الكمال، وتذكرنا هذه الفرس بفرس بطين ابن مرشد إلا أنَّ رأسها أجمل. وهي ملك حمود الذي يفتخر بها جداً، وقد روى لي قصة ورودها من شمَّر الجربا، يفاجئنا وجود فرسٍ من الفرات هنا، لكن قيل إنَّ تبادل الخيل بين منطقتي شمَّر الجنوبية والشمالية لم يكن نادر الحدوث.

5 - كحيلة العجوز الكميت.

ليست محجّلة تماماً، فحجم حجلها إنش فوق الحافر فقط، رأسها جميل، ومظهرها رائع، وتعدُّ الأفضل من حيث طريقتها في العَدْو رغم أنَّها أقلُّ قوةً من فرس الأمير الشقراء وفرس حمود الكميت، وإنَّه ليصعبُ حقاً اختيار الفُضْلى بين هذه الثلاث.

ويعدُّ شويمان سَبَّاح هو الأفضل من بين ثمانية أفحل، فهو يمتلك قوة فائقة، ورأساً جميلاً، وإنَّه ليذكرنا بفرس فارس الجربا التي تنتمي إلى ذات الرَّسَن؛ وقد يكونان قريبين نظراً لنقاط التشابه الكثيرة بينهما، مقدمة الجسم متكاملة، والقطاة قويَّة لكنها أقل تميُّزاً، وقد تمَّ إنتاجه في نجد.

وهناك أيضاً صقلاوي جدران أزرق من ابن نديري من عشيرة القمصة العنزيَّة، إنه مثال متواضع لذلك الرَّسَن الرائع، إلا أنَّ البدو يحترمونه لشيوعه هنا بالرغم من عدم وجود صقلاوي جدران صافٍ في نجد اليوم.

من المثير للاهتمام تقدير هذا الحصان هنا، إذ تُثْبِتُ الحقائق شِدَّة اعتبار خيل عنزة في نجد، وكلما شاهد المرء خيل نجد زاد اقتناعه بتفوُّق خيل عنزة من حيث السرعة، وبالرغم من افتخار الجميع هنا بكحيلان النجدي، فإنَّ المُسَلَّم به هو تميُّزُ خيل عنزة عليه، ويُنْظَرُ إلى أفراسنا العنزيَّة على أنَّها أعجوبةٌ في سرعتها.

أجزمُ تماماً بأنَّ قِلَّةً من الناس خارج جزيرة العرب يمتلكون فكرةً عن التفاصيل المهمة في شكل رأس الحصان، لذلك سأعطي هنا تفصيلًا لها.

الليدي آن تصف الخيول العربية

ينبغي أن يكون الرأس كبيراً لا صغيراً؛ فالعرب لا يحبون الرأس الصغير لكن اتِّساع الحجم يجب أن يكون كله في الأجزاء العليا من الجبهة، ولا بدَّ من اتِّساع المسافة بين الأذنين والعينين، والمسافة بين العينين، ولا يشترط الاتساع في المسافة بين الأذنين، كذلك ينبغي أن يكون الجبين وما بين العينين وتحتهما محدبين، وأن تكون العينان بارزتين، لكن ينبغي أن لا يوجد لحم حول نتوئيهما، وأن تكون كل عظمةٍ محددة بوضوح، أمَّا الجبين المسطح فهو غير مرغوب فيه، وينبغي أن تكون المنطقة التي حول العينين خالية من الشعر ليظهر الجلد الأسود تحتها، والذي لا بدَّ أن يكون حول العين أسودَ ولامعاً. وينبغي أن تكون عظمة الوجنة عميقة وناعمة، وعظم الفك واضحاً، ثمَّ يضيق الوجه فجأة، وينتهي في أسفله بنقطة تقريباً، ولكن ليس كما نُشاهد في خيول السِّباق الإنجليزية، التي يبدو منظرها الجانبيُّ منتهياً بفتحة الأنف، بل حتى طرف الشفة، في حالة السكون ينبغي أن تكون فتحة الأنف منبسطة على مستوى الوجه، وتبدو كشق طولي، وتكون متضيِّقةً ومُجَعَّدة، وكذلك بالنسبة إلى الفم، حيث ينبغي أن تكون الشفة السفلى أطول من العليا مثل البعير كما يقول البدو، أما الأذنان فينبغي أن تكونا طويلتين خصوصاً عند الأفراس، لكن تكونان رقيقتين وناعمتين كأذني الغزال.

ولا بُدَّ من تأكيد أنَّ الرأس والذيل هما النقطتان المُعَوَّل عليهما في حكم العرب على الحصان، فبواسطتهما يستطيعون اكتشاف العلامات الأكيدة لكل رسن، وتعدُّ ذيول خيل نجد متميزةً كرؤوسها، وهي أساسيَّةٌ في جمالها، ومع ذلك قد تختلف بعض الصفات.

وقد سَأَلنا الأميرُ يوماً عن اللون الذي نفضله في إنجلترا؟ ولما أجبناه بأنه اللون الأحمر والأشقر وافقنا تماماً، ولعلَّ أغلب العرب يُفَضِّلون الكميت، مع أنهم يفضلون الأصفر الخالص، الجلد والحوافر شديدة السواد، ولا اعتراض على الحُمْر والشُّقر إذا كانت محجَّلة الثلاث، والقاعدة في حائل أنَّ اللون ليس مهماً جداً، لكن الرَّسَن الأصيل فوق كل اعتبار.

بيع الخيول في بومبي

أَخْبَرَنا الأمير بأنه يرسل في كل ربيع مئةً من الأمهار الحوليَّة إلى الكويت بإمرة أحد عبيده، ليبيعها في أسواق بومبي بمئة جنيه للرأس الواحد، وهي الآن في أسوأ حالاتها، لكن أمامها بضعة أشهر مستقبلاً ترعى خلالها قبل أخذها إلى السوق.

وثائق من تاريخ الخيـول العربيــة الأصيـلـة

مدارات ونقوش ـ دبي

الوثائـق الصحيحـة أكثـر مـا ينقـص الأرشيفات العربيـة، فلـم يكـن العـرب يحتفظـون بوثائقهـم حكومـات وشعوبـاً، خاصـة إذا مـرّت علـى الوثائـق عقـود أو قـرون فلـن تجـد منهـا إلا القليـل النـادر، بعكـس العثمانييـن الأتـراك والـدول الأوروبيـة والأمـم التـي حافظـت علـى حضارتهـا لآلاف السـنين مثـل الصينييـن واليابانييـن، فإنَّ كثيـراً مـن تاريخهـم محفـوظ، كمـا أنهـم يمكّنـون الباحثيـن مـن الوصـول إلـى وثائقهـم مـع اجتهـاد وبـذل كبيريـن مـن أجـل البحـث والتأليـف وإثـراء المراكـز التاريخيـة الوطنيـة والأهليـة فـي تلـك الـدول.

وإذا وجدنـا بعـض الوثائـق السياسـية والمراسـلات العربيـة، فـإنَّ أقـلَّ القليـل الـذي نجـده فـي مراكزنـا التاريخيـة هـو مـا يـدلُّ علـى التجـارة القديمـة مـن تصديـر واسـتيراد عبـر موانـئ الوطـن العربـي الكبيـر، وإن ظفرنـا ببعضهـا فـي مصـر والمغـرب فإنَّنـا لا نجـدُ شـيئاً يُذكَـرُ فـي خليجنـا العربـي إلا مـا حفظـه لنـا الأرشـيف التركـي والبريطانـي، ومـا أدركتـه دولنـا الخليجيـة فاحتفظـت بـه قبـل التلـف.

وإننـا إذ نذكـر النـدرة فـي هـذه الوثائـق الخليجيـة التجاريـة، فإننـا نؤكّـد أنَّ وثائـق تاريـخ الخيـول العربيـة أندرهـا وأعزهـا فـي حيـن شـهدت منطقتنـا بيـع أفضـل الخيـول العربيـة بيـن ملّاك الخيـول العـرب وتجّـار العالـم، ولكـن بسـبب عـدم وجـود ثقافـة حفـظ الوثائـق فقـد ضـاع أكثرهـا ولـم نجـد منهـا إلا القليـل للأسـف.

مـن الكتـب القليلـة التـي جمعـت عـدداً قليـلاً مـن وثائـق الخيـول العربيـة فـي الكويـت كتـاب الدكتـور عبدالله اليوسـف الغنيـم «وثائـق مـن تاريـخ الخيـول العربيـة الأصيلـة فـي الكويـت» الصـادر عـن مركـز البحـوث والدراسـات الكويتيـة عـام 2016، وهـو كتـاب مهـم فـي موضوعـه وفريـد مـن نوعـه، حيـث جمـع فيـه كلَّ مـا وجـده عـن وثائـق الخيـول العربيـة فـي الكويـت، واسـتفاد مـن 12 مرجعـاً عربيـاً و 6 مراجـع أجنبيـة وكان مـن أهمهـا مخطوطـة «أصـول الخيـل العربيـة» لحاكـم مصـر عبـاس حلمـي الأول مـا بيـن (1848-1854).

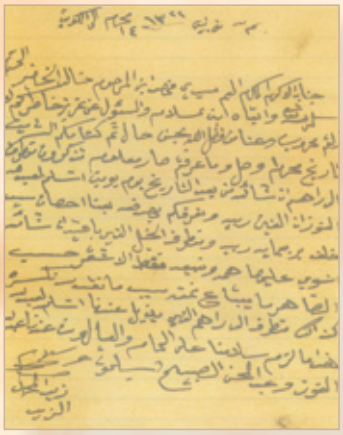

رغم أن منطقتنا شهدت بيع أفضل الخيول العربية لكنها بلا وثائق أو ثبوتيات

وقد وضع الكتاب فريق من خبراء الخيل اختارهم عباس حلمي من خاصته؛ منهم مدير اسطبله مصطفى بك، والأمير محمد علي، ورستم بك وغيرهم. وتم تيسير عمل هذا الفريق من قِبَل الأمير فيصل بن تركي، رحمه الله، فقاموا بالتجوال بين القبائل والتقوا شيوخها وأهل الخبرات في تاريخ وأنساب الخيول العربية.

ومن هذه المخطوطة انتقى الدكتور الغنيم ما ورد فيها من أخبار عن الخيول التي وصلت إلى الكويت؛ لأنها أصل مبحثه، وكانت تدور حول الوجيه الكويتي يوسف البدر الذي كان يسمّى في المخطوطة «راعي الكويت» بسبب شهرته باقتناء أهم سلالات الخيول العربية وممّا جاء فيها:

الباب الرابع في سلالات الخيل «الهدب» وقد سميت بذلك لطول شعر ناصيتها: سُئِلَ سلطان بن ربيعان شيخ عتيبة بحضور عدد من كبار السن من قبيلة عتيبة عن هدباء الظاهري؛ فأفاد أنه في حكم عبدالعزيز بن سعود طلب الأخير من مانع بن سويط من الحجيلان من آل سويط من الظفير هدباء من خيله فأعطاه فرساً صفراء هدباء، وانحدرت هذه الفرس ونسلها بين مرابط عدة، وتحدر منها حصان أحمر تمَّ بيعه في الكويت على حصّانة الهند.

وقد غنم الدكتور الغنيم من الأرشيف البريطاني وثائق مهمّة عن تجارة الخيول العربية في الكويت، وكان أقدمها ما ذكره الرحالة جيمس باكنجهام (1786-1855) الذي ذكر أنَّ مجموع ما صُدِّرَ من الخيول العربية من الكويت

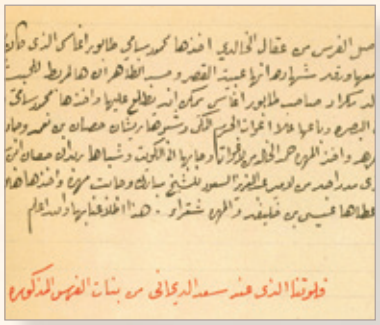

والبصرة إلى موانئ بومبي ومدراس وكلكتا في سنة 1816 كان 1500 حصان، وثمن الحصان 300 روبية، وتكلفة النقل 100 روبية، ومصروفات علفه ورعايته إلى نهاية الرحلة 100 روبية.

وذكر باكنجهام أنَّ السلطات العثمانية منعت بيع الخيول العربية، ولهذا كان يدفع لولاة البصرة الرشاوى ليغضوا النظر عن شحن الخيول في السفن البريطانية.

ومن أهمّ الوثائق التي اعتمد عليها الباحث مجموعة وثائق أسرة الخالد الموجودة في مركز البحوث والدراسات الكويتية، ومن بينها هذه الوثيقة التي تعود إلى أوائل القرن الماضي وجاء فيها:

«أصل الفرس من عقال الخالدي أخذها محمود سامي طابور أغاسي الذي كان بالحسا، ومعها ورق شهادة أنها من عبية القصر، وحسب الظاهر أنَّ هذا المربط للحبيش ولد مكراد صاحب طابور أغاسي يمكن أن يطلع عليها، وأخذها محمد سامي وأوصلها البصرة وباعها على أغوات الحرم المكي» ثمَّ قال: «وأخذ المهرة حمد الخالد من الأغوات، وأتى بها إلى الكويت» وهذه الوثيقة تدلُّ على اهتمام كبير بأنساب الخيل منذ القدم والتشابك الكبير في أنسابها الأصيلة ما بين الأحساء ومكة والبصرة والكويت.

أهداه الشيخ حمد بن عيسى إلى الشيخ زايد الأول
(شويمان) حصان يزيد أواصر المحبة بين القلوب

جمال بن حويرب*

الشعر ديوان العرب الذي يحوي كثيراً من أخبارهم وتواريخهم التي لم تسجّل في كتب المؤرخين، وقد استفاد الباحثون من الشعر لتسجيل أحداث لم يهتدوا إليها من خلال المؤلفات التاريخية، وخاصة تاريخ الجزيرة العربية الذي يفتقر إلى التدوين منذ قرون.

ولولا الشعر المحفوظ الذي تناقلته الرواة جيلاً بعد جيل، وحفظ بعضه في دواوين شعرية مخطوطة لأصبح تاريخنا حلقات مفقودة في صحراء مقفرة. ولو لم يكن للشعر من مزية إلا تسجيل هذه الأحداث لوجب علينا الاهتمام به وتنقيحه وإخراجه من صحف المخطوطات إلى عالم الطباعة الحديثة ليستفيد منه العلماء والباحثون. نقف معكم اليوم أمام نص أدبي رائع وُجِدَ في مخطوطة قديمة من مملكة البحرين الشقيقة يعود تاريخها إلى سنة 1911م، أهداها لنا الأستاذ الأديب مبارك العماري الدوسري حفظه الله، وهذه المخطوطة عبارة عن مجموعة من القصائد كتبت باقتراح من المرحوم عبدالله بن جبر الدوسري الذي كان يعمل عند الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة، رحمه الله، حاكم البحرين (1932-1942م) وكان ذلك إبان ولايته للعهد.

وقد أكّد لنا الأستاذ العماري أنَّ جامع هذه الأشعار المسمّاة «ديوان الأكارم في مدح أهل الشيم والمكارم»، هو الشاعر مبارك بن مسعود الذي كان أيضاً من شعراء الشيخ حمد بن عيسى. جاء في المخطوطة أنَّ الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، وكان ولياً للعهد حينذاك، أهدى حصاناً يسمى «شويمان» إلى الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان، رحمه الله، حاكم أبوظبي (1855-1909م) وأرسل معه أبياتاً تدلُّ على عمق العلاقات الأخوية بين البلدين حيث يقول فيها:

الفوج مبذولٍ إلى عاد تبغيه
يا شيخ يا حامي حدور التوالي
يلّى إلى من ضيّع السمت تشريه
«زايد» إللى عدّت علوم الرجالي
الفوج ما طاري لنا دوم نجزيه
إلّا لشخصك يا حميد الفعالي

الشيخ زايد الأول

هاذاك لك واللى غلا منه نفديه
الحال مبذولٍ فكيف الحلالي

فما كان من الشيخ زايد، رحمه الله، إلا أن أرسل رداً شعرياً لا يقلُّ عنه جزالة، ونحن لم نقف قبل هذه المخطوطة على أي قصيدة تنسب إلى الشيخ زايد مع أنَّ آل نهيان نشأ فيهم شعراء كبار من أمثال والده الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي، رحمه الله، (1833-1845م) وولده الشيخ سلطان حاكم أبوظبي، رحمه الله، (1922-1926م)، والشعر في آل نهيان متأصل منذ أجيالهم القديمة فلا غرو إذا كتب الشيخ زايد الشعر، وإن لم نعثر عليه إلا في هذه المخطوطة، يقول الشيخ زايد:

حي الكتاب اللي لفاني وهاديه
به مرحباً وأهلاً بردّ السؤالي
اعداد ما برقٍ مزونٍ تشابيه
واعداد ما نسنس هبوب الشمالي

فكّيت برشامه وأحطنا معانيه

في الفوج لى كامل جميع الخصالي

ساعة لفى (شويمان) غزر النظر فيه

مقبول من شيخٍ جزاه وهدى لي

هاذي عوايد من «حمد» والسخا فيه

يا الله تكفا له صروف الليالي

حالك جميل وفضل جودك يكفّيه

والفرق معدومٍ إلى أتلى التوالي

ومن المعلوم أنَّ بني ياس وشيوخها أهل الخيل منذ القدم، وقد مدحوا كثيراً بالخيل العراب، وكان الشيخ زايد، رحمه الله، يقتني كثيراً منها؛ فهذا الرحّالة الألماني هيرمان بورخارت الذي زار أبوظبي سنة 1904م، وصف خيل الشيخ زايد وأخذ صوراً فوتوغرافية لها، وذكر في ملاحظاته أنَّ الشريف عون شريف مكة، أهدى الشيخ زايد الأول فرساً ذكرها الشاعر مبارك العقيلي في قصيدته يمدح الشيخ زايد الأول عندما زاره برفقة نجله الشيخ حمدان بن زايد فقال:

إمام يطيعه حضرها والبوادي

وهاداه من يدعى بمكه أميرها

وقد كانت الهدايا تصل إلى الشيخ زايد من كلِّ مكان بسبب ما كان يتمتّع به من احترام كل الدول المجاورة آنذاك، ولم يكن هذا الجواد هو الهدية الوحيدة من شيوخ البحرين؛ فقد جاء أيضاً في الوثائق البريطانية أنَّ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة والد الشيخ حمد أهدى الشيخ زايد الأول جوادين استلمهما نجله الشيخ خليفة بن زايد الأول في عام 1880-1881، إذ كان زايد تلك السنة في الحجاز لأداء مناسك الحج.

وما قصيدة ابن عديم الرواحي (1921م) المشهورة إلّا دلالة

الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

على عشق بني ياس للخيل يقول فيها:

وما رجاءُ بني ياس على خطأٍ

فإنما القومُ أعوانٌ وإخوانُ

قوم على صهواتِ الخيل طفلهمُ

يربو له من دمِ الأبطالِ ألبانُ

إلى آخر هذه القصيدة البليغة.

وكذلك يقول سالم السيابي في كتابه «إسعاف الأعيان» عندما ذكر قبيلة بني ياس: «وتلتف عليهم قبائل عدة، تتعلق بهم في مهماتها أمم، وبنو ياس هم الصميم فيهم، أهلاً ببني ياس بن عامر، أهل الخيل والخيول، ولهم الفضل الذي لا ينكر».

***مؤرخ من الإمارات**

ربدان | حصان الشيخ زايد بن خليفة

الأصل والنسب دراسة توثيقية

*سعيد محمد بن كراز المهيري

لقد كان للعرب فيما يعشقون مَذاهبُ؛ وما آثروا فيما أحبّوا غيرَ الخيل مهوى أفئدتهم، ورمز عنفوانهم وكبريائهم، ومربط فخرهم وعزهم، وعُرِفَ عنهم منذ القدم الحفاظُ على أنسابها، وحرصوا على عدم الخلط بين سلالاتها، وخلدوا ذكرها في أجمل أشعارهم، وعندما جاء الإسلام حثَّ على العناية والاهتمام بها، وجاء ذِكر «الخيل المُسوّمة» في أطيب ما يطمح إليه الناس بالفطرة، فكان البيان الإلهي لا أبهى ولا أجلَّ من قوله تعالى: **«زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ»**. (سورة آل عمران آية: 14).

وترجع عناية العرب بالخيل إلى فجر العروبة، أي منذ اتخذوها عوناً لهم على أعدائهم، فشاركتهم الأمجاد والانتصارات، ومن أجل ذلك أوصى الرسول، صلى الله عليه وسلم، باقتناء الخيل ورعايتها، ومعاملتها برفقٍ وأدبٍ جم، ومودةٍ حميمةٍ فقال صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلُها معانون عليها، فامسحوا نواصيها، وادعُوا لها بالبركة».

وبالتالي ليس من شك في أنَّ القبائل العربية المنتشرة في بلاد عُمَان، وجلّهم من القحطانيين من الأزد، ومن طَيِّءٍ ومن قبائل أخرى، لهم من العناية بشؤون الخيل، وارتباط عِتَاقِها ما لغيرهم من قبائل الجزيرة. وما شيوخ آل نهيان إلا من تلك القبائل العربية الأصيلة التي كانت الفروسية بعضَ خصالهم، والخيل عُدَّتُهم في كلِّ حالٍ، فهي تجري بهم فرساناً؛ فيُسمَعُ صوتُ أنفاسها، وينطلق الشرر من حوافرها التي تقدح كالزناد، وتثير الغبار في وجه العدو، وهذا يجسِّد ما قاله الشيخ سلطان بن زايد في إحدى قصائده التي سيأتي ذكرها لاحقاً:

يا ما عطينا غاليات اثمان

عجلات في رد السند

لي قينها يرقع على الصمان

يبطي عجاجه ما ركد

الخيل الرُّبدُ لغة وتسمية:

الخيلُ الرُّبدُ من أصايل الخيل المشهورة عند العرب، والرُّبدُ جمع (رَبدَاء) والذكر (أربد) مأخوذة من (الرُّبدَة) ألوان الغبرة، وقيل لون إلى الغبرة أي مائل إلى الغبرة، وقيل الربدة والربد في النعام سواد مختلط، والرُّبدَاءُ من أوصاف النعامة، يقال: نعام رَبدَاء، أي (اختلاط لون السواد مع الرماد). وسُمِّيت الخيل بهذا الاسم لِلحَاقِها نَعَامَةً، ويقال: إنَّ صاحبها الأول أدرك عليها نَعَامَةً. ولكون الرُّبدَة من الأوصاف كثرت أنواع الخيل الموصوفة بهذا اللون. ومن الصفات التي تميّز الخيل الرُّبد سرعتها الفائقة، وحوافرها الصغيرة، وقوائمها القوية والخفيفة التي تشبه النعام، إضافة إلى أنَّ خفة حركتها تزيد من مهارة من يمتطيها.

سلالة الخيل الرُّبد:

والخيل الرُّبدُ هي من سلالة الكُحَيلات، ومفردها الكُحَيلَة وهي من أقدم خيل العرب، وأعرقها في الأصالة والعتق، وأكرمها لديهم، ويتناقل العامة فيما بينهم: أنَّ نبي الله سليمان عليه السلام لما (طَفِقَ مسحاً بالسُّوقِ والأَعنَاق) خبأت عجوزٌ فرساً تسمّى الكُحَيلَة من جياد الخيل الأصايل، فنسلت من هذه الفرس سلالة سميت كُحَيلَة العجوز. وقيل إنَّ الكُحَيلَة سُميت الدَّهماء، لكونها غامقة اللون، مُكحلة العيون، ويعدونها من الكُحَيلات الخمس المعروفة باسم خيل الصحابة.

التسلسل التاريخي لانتشار الخيل الرُّبد في شبه الجزيرة العربية:

في رواية جاءت في الأصول أنَّ فرساً من الربد مشهورة كانت عند رجل اسمه نزهان من قبيلة الدُّوشان، ويقال إنَّ

الخيل الرُّبدُ من أصايل الخيل المشهورة عند العرب والتسمية مأخوذة من (الرُّبدَة) ألوان الغبرة

محمد بن خليفة - صاحب البحرين - كان قد طلبها منه فباعها عليه الرجل على أن يكون مولودها الأول له، فأتت عند ابن خليفة بشقراء أبوها حصان من الكحيلات.

ويذكر أنَّ السلطان سعيد بن سلطان - سلطان مسقط - كان قد أهدى حصاناً من أصل (الرُّبد) إلى عباس باشا الأول في عام 1260هـ/ 1844م (الذي تولى حكم مصر بعد حكم عمه إبراهيم باشا عام 1264هـ/1847م)، وذكر الشيخ محمد بن خليفة أنَّ خيل سعيد بن سلطان صاحب عُمَان انتقلت إليه من خيل آل خليفة التي أخذوها في وقعة قطر من ابن طريف.

الخيل الرُّبدُ عند الشيخ زايد بن خليفة:

احتلت الخيول لدى شيوخ أبوظبي قديماً وحديثاً مكانة بارزة، فقد كان معظمهم يرغبون في امتلاكها؛ لأنَّ النفوس تنشرح لجَمالها، وزينةٌ مُحببةٌ تهواها القلوب؛ فتطرب الأرواح لزهوها وصهيلها. وكانوا يعدون الجواد الأصيل دائماً هدية قيمة للتبادل فيما بينهم وبين حكّام وأعيان زمانهم، ولهذا فإننا نجد من خلال تحليل العديد من المراجع التاريخية وكتب الرحالة والمراسلات الرسمية وغير الرسمية المتبادلة بين حكّام أبوظبي ومعاصريهم من الحكّام والأعيان، الحرص الشديد الذي كان يُبديه شيوخ أبوظبي، وبصفة خاصة الشيخ زايد بن خليفة على تربية الخيول العربية الأصيلة، وإقامة المرابط الخاصة بها في مختلف أنحاء إمارة أبوظبي، والإنفاق الجزيل عليها، حيث اهتمَّ بأصولها، وأكرمها، واستخدمها في مصالحه المختلفة. فقد أورد المستشرق لوريمر في كتابه دليل الخليج وخاصة في الفصل الذي تحدّث فيه عن إمارة أبوظبي في عهد الشيخ زايد بن خليفة: «تشاهد الخيول عند الشيوخ فقط... والمعروف أنَّ في قرى الواحة (البريمي) على وجه الإجمال حوالي 50 حصاناً ... وإلى جانب ذلك يوجد عدد من الخيل يقال إنه يبلغ مئة فرس كلها لشيخ أبوظبي»، ويذكر في مكان آخر من كتابه حول خيل الشيخ زايد بن خليفة «... والعلف الذي تقدمه بعض القبائل لمئة من الخيول يحتفظ بها الشيخ في واحة البريمي».

وقد ذكر المستشرق الألماني هرمان بوركهارت الذي زار أبوظبي عام 1904م والتقى الشيخ زايد بن خليفة، في مذكراته اليومية بتاريخ 7 فبراير عام 1904م: «في عصر هذا اليوم قمتُ بتصوير الشيخ في المجلس، وكذلك قمت بتصوير أجمل فرس لديه». وهي الفرس التي أهداها شريف مكة (الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون 1878 – 1904م) لحاكم أبوظبي الشيخ زايد بن خليفة، وربما قدمها مع السرج الرائع الزخرفة والرَّشمة المفضضة على رأسها. ولعلَّ لهذه الفرس عقباً معروفاً مدوناً في سلالات (أحواج) الخيل المولودة في أبوظبي، ومن الممكن أن تكون معروفة بالاسم.

أولاد الشيخ زايد بن خليفة على ظهور الخيل

هدية ثمينة:

ولعلَّ الدلالة المعنوية بالنسبة إلى "أجمل فرس" عند الشيخ زايد بن خليفة، حاكم أبوظبي تشير إلى اتساع علاقاته السياسية والاجتماعية، ولم يكن بمقدور بورخارت ذكر هذه الحادثة وتصوير الفرس لو لم يؤكد له الشيخ زايد بن خليفة وأولاده أنها هدية ثمينة يفتخر بها من سلالة الخيول الأصيلة التي كانت معروفة لدى أشراف مكة، فضلاً عن أنها مؤشر قوي على الصلات السياسية المتميزة التي باتت تربط أشراف مكة بآل نهيان. فقد عُني الأشراف باقتناء الخيل، وأنشؤوا المرابط الخاصة بخيولهم كمربط كحيلة الشنينة، ومربط الصويتية وهو من أقدم المرابط التي كان يمتلكها الأشراف. ويبدو أنه كان في مرابط خيلهم في مكة سلالة من خيل الربد، ومن مرابطهم انتقلت خيل الربد إلى قبيلة آل ظفير في نجد ومنها إلى أنحاء الجزيرة العربية.

يذكر كذلك أنَّ الأشراف من بني زيد في مكة وجدوا في مرابط الشريف زيد بن محسن شريف الذي توفي سنة 1076هـ/ 1665م، فرساً مشهورة من سلالة كحيلة العجوز،

ومن سلالتها انتقلت خيول إلى أمراء ومشايخ الخليج العربي.

ويقال إنَّ الشريف محمد بن عون (توفي سنة 1274هـ/ 1857م) قدَّم لعباس باشا خيلاً منها: عُبية الأصل، وورد أيضاً أنَّ الشريف سلطان بن شرف أمير تُربة عام 1270هـ/ 1853 كان يتعلق بالخيل (الدُّهم) ما يدلُ على العناية الخاصة بها. بل ذكر أنه كان لدى الأشراف مربط معروف يدعى (ربدان الخُشيبي). وقد جاء أنَّ للخيل الحجازية، أي خيل الأشراف، صفات مميزة منها "أحداقُها حسنةٌ سودٌ رقيقة الجحافل، طويلة الآذان، صلبة الحوافر، أرساغها جيدة".

ويعتقد أنَّ الفرس التي أهداها الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون (1878 – 1904م) إلى الشيخ زايد بن خليفة، ربما تكون من سلالة الصقلاويات التي هي نوع من عِتَاق الخيل (الأصايل) القديمة من كُحيلة العجوز، وهي التي ينسبها العرب إلى خيل الخمس التي تمَّ تأنيسها.

أمّا أصل التسمية، ففي كتب اللغة: الصَّقِلُ من الخيل القليل اللحم، وصِقَال الفرس صَنعَتُهُ وصيانتُهُ، يقال جعل فلانٌ فَرَسَهُ في الصَّقال، أي القيام عليه بالجلال والعلف. ويقال أيضاً سُميت (صقلاوية) لصفاء شعرها.

وقد تكون سُميت بذلك، لكونها تحمي ظهورها من ركوب من لم تأنس به بِرمجِهِ برجلها، إذ العامة في نجد يقولون: صَقَلَتهُ الفرس، إذا ضربته برجلها، وفرس صقول إذا كان يرمح برجله من يقرب منه، ممّن لا يعرفه.

وممّا يدلُّ على المكانة الرفيعة للخيل الصقلاوية ما ذكرته (الليدي آن بلنت) من أنها شاهدت في إصطبل الأمير محمد بن رشيد فرسا صقلاوية من خيل نجد، وقالت في وصفها: «غبراء في غاية البساطة، كما تبدو لأول وهلة واهنة الأطراف، ذات رأس يثير الإعجاب بأية حال، إلا أنها ذات كتفين رفيعين، وهذه الصقلاوية ذات سمعة كبيرة هنا، وتولى اهتماماً خاصاً لأنها آخر من بقي من فصيلتها، والخلف الوحيد للفرس الشهيرة التي اشتراها عباس باشا الذي أرسل عربة تجرها الثيران من مصر إلى نجد لأخذها، لأنها كانت عجوزاً وغير قادرة على السفر سيراً، وأنَّ مهرة ابن رشيد هذه هي الممثلة الوحيدة للسلالة الباقية في جزيرة العرب». فهذه الصقلاوية الأصيلة هي الأم العليا للأصل الصقلاوي بمصر. ومن ابنتها وأحفادها وحفيداتها ولدت الأفراس الصقلاوية التي صارت مفخرة مرابط أمراء الأسرة الخديوية. وما كان من ملك أو أمير يزور مصر إلا ويزور مرابط الأمراء لمشاهدة الصقلاويات الجميلات.

الشيخ زايد بن خليفة وأنجاله في أبوظبي عام 1902م

وللتحقُّق من أصول الفرس المهداة من قبل الشريف قمت بعرض الصورة على السيد المصطفى مفوضي مسؤول الإصطبلات ومشرف التدريب بنادي تراث الإمارات، والمتخصص في تربية وتحسين سلالات الخيل، حيث أوضح أنها من سلالات الدهماء إذا لاحظنا الشكل العام للفرس، وكذلك القوائم نقطة الذيل العليا في المؤخرة من جهة، ومن جهة أخرى شكل وحجم الأذنين وتناسق العنق والرأس مع باقي الجسم، فهذا يعدُّ من ميزات الخيل العربي. أمّا شكل الرأس فلا يمكن تمييزه إلا بمعرفة نسب الفرس من جهة الأم التي تأخذ منها نحو 75% ، ونسب الأب تأخذ منه 25% من المواصفات.

اهتمام وعناية:

وجاء في الرسائل التي تمَّ تحقيقها والموسومة بـ"رسائل من عصر زايد بن خليفة 1836 – 1909م" اهتمام وعناية الشيخ زايد بن خليفة بالخيل وترسيخ قيم الفروسية؛ لأنها من المآثر العربية التي تسري في النفوس الأبيّة عروبةً نقيَّةً في عزة وأنفة. وعليه فقد ورد في الرسالة الموجهة من زايد بن خليفة إلى خليفة بن زايد في واحة العين والمؤرخة في 25 سبتمبر سنة 1901م: «... وصلنا راجعين الوطن بحال الصحة والسلامة ثم الواصلة إليكم ثلاثين ريال أخرى للخيل الذي في الجاهلي».

ونستدلُّ من خلال هذا النص الوارد في الرسالة على أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كان شديد الحرص على الاحتفاظ بالخيل في قلعة الجاهلي والعناية بها، لتكون على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ أو هجوم قد تتعرَّض له الواحة. ويبدو كذلك أنه قد خصَّص لخيله مرابط خاصة وعطاءً مجزياً للعناية بالخيل التي تقيم في قلعة الجاهلي، وكذلك خصَّص

جاء في الأصول أنَّ فرساً من الربد مشهورة كانت عند رجل اسمه نزهان من قبيلة الدُّوشان، ويقال إنَّ محمد بن خليفة - صاحب البحرين - كان قد طلبها منه فباعها عليه الرجل على أن يكون مولودها الأول له، فأتت عند ابن خليفة بشقراء أبوها حصان من الكحيلات

أناساً من العرب والعجم للعناية بها وخدمتها، لإنتاج سلالات جديدة من أصايل التي كان يمتلكها.

وجاء في الرسالة الموجهة من الشيخ زايد بن خليفة إلى الشيخ أحمد بن هلال الظاهري والمؤرخة في 5 إبريل سنة 1901م: «... عرفة من طرف الفرس الكحيلة إنها وصلت وأنجبت مهرة مباركة إن شاء الله، وقد حصلتو لها منيحه بتذمرونهن بالوصول إلينا أحسنتم».

ونستدل من خلال هذا النص على أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كانت له عنايته الفائقة بأصول الخيل وأنواعها، ومنها نوع الفرس الواردة في هذا النص وهي من نوع الكحيلات، ويبدو أنَّ تقديم حليب النوق للمهر الصغير دليل على الاهتمام الواضح بإطعام الخيل لتبقى بصحة وعافية.

ومن أهم الوثائق التاريخية التي تحدثت صراحة عن سلالة الأربد الخاصة بالشيخ زايد بن خليفة، تلك الرسالة الموجهة من سعيد بن محمد بن عامر المحرمي الحارثي إلى الشيخ أحمد بن هلال الظاهري والمؤرخة في 20 إبريل سنة 1905م، والتي جاء فيها: «... وتخبيرك أننا قد سيرنا الفلوة بنت الأربد لحضرة جناب زايد بن خليفة بعدما أشار إلينا يطلب أمهّا، وأمها غير لائق القود بها حالاً؛ لأنها أولاً كانت باطي مدني وقد أفلت ليلة عاشر بحصان ولذلك لم تستطع القود؛ لأنه لا شك القود لها مضر، وأحببنا تصدير ابنتها لحُسن ظننا فيها؛ لأنها ربداء نص من أمها وأبيها وأما هي بعدها صغيرة سن تكمل السنتين 29 شهر الحالي، وحببنا تقديمها لئلا نتمادى بإشارة شيخنا الوالد زايد، وسيّرناها له على بركة الله تعالى فعساها تكن رمكة مبروكة، وأرسلناها على أيدي رسلنا سالم بن سعيد راعي روعه الحارثي، وسبيع بن هاشل الهشيلي الوهيبي، وأمها إن شاء الله سوف تصله بعد حين إذ حيث أنه لا فرق بيننا وإياه في المال والحال».

يتحدث هذا النص عن الفرس والحصان الأربد الذي أوكل الشيخ زايد بن خليفة مهمة القيام والعناية بهما إلى سعيد بن محمد بن عامر المحرمي الحارثي في صحار من سلطنة عُمَان، وتفيدنا هذه الرسالة أنَّ سعيد الحارثي قد أرسل مهرة ربداء عمرها أقل من سنتين إلى الشيخ زايد بن خليفة وهي تحمل أوصافاً مناصفة من أمها وأبيها الحصان الأربد. ونستدل من هذا النص أيضاً على أنَّ سلالة الحصان الأربد متوافرة لدى الشيخ زايد بن خليفة مع الحسب والنسب، وعمل جاهداً للاحتفاظ بسلالة الخيل الأربد العربية الأصيلة، كما استخدم خيل الأربد لتحسين سلالات الخيل الأخرى. وفي ذلك دلالة قاطعة في إثبات ما قاله الشيخ محمد بن خليفة – صاحب البحرين – على أنَّ الأربد من سلالة الخيول التي وصلت إلى سعيد بن سلطان صاحب عُمَان، والذي تربطه بشيوخ آل نهيان علاقات وطيدة، بحكم الجغرافيا والتاريخ المشترك منذ قيام حكم آل بوسعيد في عُمَان عام 1744م. وهذا ما أكّده حديث عبدالرزاق بن سليمان آل خليفة، عندما سئل عن الحصان الذي ذُكِرَ أنه أُرسل إلى عباس باشا في مصر من السيد سعيد بن سلطان، سلطان مسقط، من أيّ الرُّبدِ هو فأفاد عبدالرزاق أنه رَبدَان أصفر، ابن فرس الدويش، وهو درج من محمد بن خليفة عطاءً، إلى اليد سعيد، سلطان مسقط. وفي موقع آخر يؤكد عبدالرزاق في حديثه عن سلالة خيل الربد، أنَّ ربدان هو حصان سلطان مسقط.

ومن النصوص التاريخية المهمّة التي تحدثت عن الخيول الأصيلة التي كانت تعدُّ هدايا قيمة للتبادل فيما بين الشيخ زايد بن خليفة وبين حكام وأعيان زمانه، منها الرسالة الموجهة من يوسف بن سعيد الهاجري إلى الشيخ أحمد بن هلال الظاهري والمؤرخة في 12 أغسطس سنة 1902م: «... ونعرفك شيخنا المطاع زايد بن خليفة عَرّف للوالي في الحصان الذي مَرسول له من علي بن أحمد من البحرين. والحقيقة الوالي قال دلّو زايد معرف في الولد مظفر لا يعز عليه والحصان واصل عند الطارش».

وهنا إشارة واضحة إلى أنَّ الشيخ زايد بن خليفة قد حصل على هدية قيمة من الخيل تمثّلت في الحصان الذي أُرسل إليه من علي بن أحمد من البحرين عام 1905م. وهنا نوضّح أنَّ الشيخ زايد بن خليفة كان يهُدى ويهدي من الخيول الأصيلة التي كانت في مرابطه، فورد في كتاب رسائل السركال؛ الرسالة المؤرخة في 2 أكتوبر 1887م، جاء فيها أنَّ: «... الحاج أحمد خان (المبعوث الفارسي الذي وصل أبوظبي في النصف الثاني من عام 1887م) حصل من حاكم أبوظبي على فرس وحصان، وبعد وصوله إلى لنجة أرسل خمسين جونيه شعير إلى حاكم أبوظبي، وقد أرسل إلى ولد الشيخ زايد (خليفة بن زايد) فلواً عمره سنة ونصف».

وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أنَّ الشيخ زايد بن

خليفة كان يمتلك عدداً كبيراً من الخيول متعددة الأنساب والأصول، وأنه كان حريصاً على تقديمها كهدايا قيمة لضيوفه لتوثيق عُرى التواصل معهم، كما يستنتج من هذه الوثيقة حرصه أيضاً على استمرار تناسل السلالات ذات الأصول العريقة من هذه الخيول.

ربدان في القصائد الشعرية:

إضافة إلى ما سبق كان لربدان حضور مميز في النصوص الشعرية مما يعطي دلالة قاطعة على مكانته الرفيعة لدى الشيخ زايد بن خليفة وأبنائه، فهناك قصيدة للشاعر علي بن مصبح بو نعاس الرميثي يمتدح فيها جناب الشيخ زايد بن خليفة؛ لأنه أهداه حصاناً من هذه السلالة العريقة فيقول:

هذي عطيتنا من ابن نهيان

جزل العطايا لي شبوره طويله

ياما عطا لمصبح نصب الأذان

يا زين مصراعه وومية شليلة

يتحدَّث الشاعر في هذين البيتين عن الحصان الذي أهدي إليه من الشيخ زايد بن خليفة الذي عرف بكرمه وسخائه وعطاءاته الكثيرة، ثمَّ يتناول صفات هذا الحصان ومنها القوة وسرعة الحركة، ويستطرد في تناول هذه الصفات قائلاً:

يا زين مصراعه يلي لبس الأعنان

شروات ظبي فاسخ من مجيله

منسوب ما بين الكحيلة وربدان

ياخد من العوده بمد ومثيله

ان أتعبوهن واضربوهن بالارسال

عطية شيوخ والعطايا جزيلة

أي ما أجمل حركته عندما يوضع عليه اللجام، فهو كالظبي الذي قفز فجأة من قيلولته، وليس غريباً عليه ذلك فهو من سلالة أصيلة؛ فأبوه ربدان وأمه الكحيلة ومنهما يأخذ صفاته، وهذه السلالة الأصيلة إذا ما شاركت في السباق أو الغزو شرفت أصحابها؛ لأنها من عطايا الشيوخ الكثيرة.

بعد وفاة الشيخ زايد بن خليفة، طلب الشيخ راشد بن أحمد بن عبد الله المعلا، حاكم أم القيوين، حصانه فأعطي له، رغم المكانة التي كان يحظى بها الحصان عند الشيخ زايد بن خليفة وأبنائه، فلم يكن باستطاعة أبنائه أن يردوا هذا الطلب؛ لما عرف عنهم من كرم وجود، والطلب كما هو معروف غير الهدية... وهم بهذا أعطوا الحصان كمركوب، لكن سلالته بقيت متوارثة لدى العائلة، كما غيرها من سلالات الخيول الأخرى، التي تحرص العائلة على المحافظة عليها. وفي الأبيات التالية موقف للشاعر الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم حاكم دبي (1906-1912) من هذا العطاء:

نركب على اللّيْ قذّالها ما لان

ولا تعثـــور فـــي النكـــد

أخطيت ياللي معطي لحصان

وتريـــد مـــن غـــيره سنـــد

مركوب شيخ مطوع السحلان

شيـــخ يهـــابه كـــل حـــد

ليت المنايا ما عدت ربدان

مـــا دام زايـــد فـــي اللحـــد

في هذه الأبيات نرى أنَّ الشيخ بطي يعترض على إعطاء (ربدان) لحاكم أم القيوين؛ لأنه حصان قائد عظيم، لكن هذا الاعتراض في غير محله؛ لأنَّ من عاداتنا وتقاليدنا أن لا نردَّ من يطلبنا بحاجة، فكيف إذا كان الطالب حاكم والمطلوب منهم أولاد زايد بيت الجود والكرم، ولو تعرَّض ابن سهيل لهذا الموقف لفعل كما فعلوا، وهنا يأتي الرد على القصيدة السابقة على لسان الشيخ سلطان بن زايد بن خليفة في الأبيات التالية:

يا شيخ تكفى الهم والأحزان

ما مـات مـن خـلف ولـد

هدية شريف مكة للشيخ زايد بن خليفة آل نهيان

ياما عطيـنا غاليات اثمان

عجـــلات فـــي رد الســـند

لي قينها يرقع على الصمان

يبـطي عجـــاجه مـــا ركـد

خيـل مغذيـات وسـط عمـان

مطلاقهـــن شـــروى الـرعد

عادات هلنا من سنين ازمان

يكرمـــون اللـــي شهـــد

كـله لـعينا لابـس السـبهان

بـــو مضحـــك كـــنه بـرد

يأتي الرد من الشيخ سلطان بن زايد بن خليفة على ابن سهيل غنياً بالمعاني العميقة، والحقائق التي لا لبس فيها؛ أولاها أنَّ الموت لا يغيب الأشخاص الذين لهم ذرية من بعدهم، وهذا هو حال والده، الذي أنجب ذرية تحفظ اسمه وتاريخه، وهذا حال حصانه (ربدان) الذي إن رحل وأعطي لغير صاحبه، فهو موجود لأنَّ سلالاته تجدد حضوره في كل حين، ونحن أهل الكرم والعطاء جدنا بالغالي والنفيس، وسلالة الأربد سترد العطاء بأكثر منه، إذ لدينا من سلالته خيول في عُمان (مدينة العين) معتنى بها، خيول لم يركد بعد غبار وقع أقدامها، وهنا نجد دلالة واضحة على الرعاية التي تحظى بها الخيول في قلعة الجاهلي وغيرها من الأماكن.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن منظور: لسان العرب، المجلد السادس، بيروت 2004م.
- حمد الجاسر: أصول الخيل العربية الحديثة، دار اليمامة، الرياض 1415هـ
- ج، ج لوريمر: دليل الخليج - القسم الجغرافي، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر.
- سعيد محمد بن كراز المهيري بـ «رسائل من عصر زايد بن خليفة 1836 – 1909م»، أبوظبي 2009م.
- سعيد بن خلفان الخليلي: تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام والأديان، تحقيق حارث البطاشي، ط1، مكتبة الشيخ محمد البطاشي للنشر والتوزيع، دار الهلال العالمية، القاهرة – بيروت 2010م.
- نور الدين عبد الله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، السيب 2000م .
- سلطان العميمي: ديوان «خمسون شاعراً من الإمارات»، ط 2 ، إصدارات أكاديمية الشعر، أبوظبي 2009.
- صورة عن مخطوطة في أرشيف أكاديمية الشعر عن طريق الباحث مبارك العماري (من دون تاريخ).
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: أبوظبي توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، ط 1، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي 2004م.
- فاطمة الصايغ، فالح حنظل: رسائل السركال (تاريخ الإمارات العربية المتحدة المستخلص من رسائل الوكيل الوطني في الشارقة 1852 – 1935م)، أبوظبي 1999م.
- هرمان بور خارت (آنيغريت نييا، بيتر هربسترويت): رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط، ترجمة وتعليق أحمد ابيش، أبوظبي 2009م.

*باحث في التراث الإماراتي

محطات فارس العرب مع الخيل ترويها صفحات « قصتي »

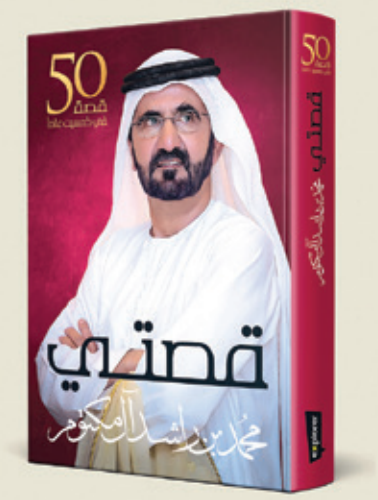

لا يملك المتتبع لعلاقة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم مع الخيل إلا أن يقف عند محطات عدة تستحق التأمل والدراسة، ولعلَّ الخوض في أعماق ما كتبه سموه عن تلك العلاقة الضاربة بجذورها في قلب سموه مع ذلك المخلوق الرائع، في كتابه الثمين «قصتي»، تتيح لنا إمساك أطراف خيوط ذلك الشغف النادر؛ فسموه لا تفارق الخيلُ خيالَه، كيف لا وهي مصدر إلهامه الذي يحيل إليه جزءاً من أسباب عشقه للمنافسة على المراكز الأولى في شتى مجالات الحياة.

مدارات ونقوش (خاص)

يقول سموه: «لديَّ طبيعة في شخصيتي لا أعرف مصدرها تحديداً؛ هل هي فطرية أم مكتسبة؟ لديَّ طاقة تنافسية عالية، التنافس مع الآخرين يجعلني أقوى وأفضل وأسرع وأكثر إصراراً.. لديَّ هدف دائم أن أكون في المركز الأول، فلا أسعى إلا إليه، حتى لو لم أدركه، لا أعرف هل الخيل وسرعتها وسباقاتها التي عشقتها منذ صغري أكسبتني هذه الصفة، أم أنَّ هذه الصفة الفطرية هي التي جعلتني أكسب سباقات الخيل وأكسب الكثير من سباقات الحياة». (قصتي: 128)

نشأة فارس

هذا الشغف الذي بلغ عند سموه درجة العشق المحفور في القلب، المتغلغل في شغاف الروح، يسرده سموه في أول قصصه مع الخيل، ولا يخفي أنه «الحب الأول» بالنسبة إلى سموه، إذ «لا يوجد فرق؛ الخيل الأولى والحب الأول وجهان لعملة واحدة بالنسبة لي». (قصتي: 75)

حصان والده «الصقلاوي».. بيئة الفروسية التي نشأ سموه عليها في بيتٍ جميعُ أفراده فرسان، حتى والدته، رحمها الله، التي كانت «تستطيع ركوب الخيل دون سرج»... لعلَّ تلك العوامل التي يمكن اختصارها بـ«النشأة» لها بالغ الأثر في اكتساب سموه تلك العلاقة العميقة مع الخيل. كما بين ذلك شيخ المعرة بقوله:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا

على ما كان عوَّده أبوه

وهذا ما نستشفه جلياً في حديث صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد عن خيله الأولى: «نشأت في بيئة تحبُّ الخيل.. نشأت في بيئة كانت تتناقل الكثير من المأثورات، يحكيها لنا الآباء ونحن صغار عند اجتماعنا بالليل حول النار في الليالي الباردة.. جاء في إحداها أنَّ الله تعالى لما أراد أن يخلق الفرس قال لريح الجنوب: إني خالق منك خلقاً؛ أجعله عزاً لأوليائي، ومذلة لأعدائي، وحمىً لأهل طاعتي، فقالت: افعل ما تشاء، فقبض من ريح الجنوب قبضة فخلق فرساً، فقال: سميتك فرساً، وجعلتك عربياً؛ الخير معقود بناصيتك، والغنى معك حيث كنت، وجعلتك تطير بلا جناحين». يسرد سموه كيف كان ينام مع الخيل، كيف كان يفهم لغتها ونظراتها.. كيف كان يكلمها وتكلمه فتتعانق قلوبهما وتستوثق عرى المودة معها، حتى أضحت مصدر شغفه وإلهامه ومحبته الأولى.

بشغف قديم عنوانه الأصالة والوفاء يسرد محمد بن راشد أول قصصه مع الخيل

يسرد سموه، كيف كان يفهم لغة الخيول ونظراتها وكيف كان يكلمها وتكلمه فتتعانق قلوبهما

أدب الخيل

إنَّ المتتبع لحياة سموه الأدبية يلمح مدى تأثير الخيل حتى في نتاجات سموه الإبداعية، وهذا ما تعكسه الوفرة الوافرة من القصائد التي وصف فيها الخيل، وتغنَّى بأمجادها وأصالتها، وافتخر بأيامها وكرم نسلها.

ومن تلك الإبداعات التي امتلأ بها ديوان سموه الشعري يختار لكتابه «قصتي» رائعة شعرية من أجمل ما قال وقيل في العاديات الأصايل، وممّا جاء فيها:

حبْ الرِّمَكْ يجري بشراييني
آحبِهـــا وآحـــبْ طاريهـــا
أقْسَـمْ بها الرَّحْمنْ ف كتابهْ
سبحـانهْ إبعلمـــهْ مِسَوِّيهـا
العـادياتْ الإســمْ للسُّـــورهْ
حَلَـفْ بهـا وهـــذا مِغَلِّيهـا
وفي الغـاشيهْ آيـهْ لمـنْ فَكَّرْ
والهـينْ مذكـــورهْ بتاليهـــا
ومـا ينحـلفْ إلاَّ ترىَ بغـالي
هـوُ لي ذكرها وهوُ مِسَميِّها
إظهورهـــا عِـزْ وشـرَفْ تالـدْ
وبطونهـــا كَـنْزْ إلمِحبّيهـــا

«أم حلج»

قصة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد مع الخيل لا تكاد تنتهي عِبَرها، والإضاءات التي يمكن أن تؤخذ جذوة منها يستمدُّ كلُّ أحد منها عِبَراً ومحطاتٍ يستظلُّ بها في معترك الحياة.

فرسه الأولى كانت «سودا» الملقبة بـ«أم حلج»، لم يعبأ سموه بمرضها، إذ كانت والدته الشيخة لطيفة من أعرف الناس بالعلاج بالأعشاب، ومن أعرفهم بالخيل، وهكذا بدأت رحلة سموه مع العناية بالخيل وتدريبها وهو في العاشرة من عمره.. ما أعظم الصحراء! كيف تصنع الرجال وتضفي على الحياة بريق العزة والشموخ! «كان ذلك أهم مشروع في حياتي، السباق بعد أربعة أشهر، وأحتاج لعلاج مهرتي وتدريبها ثلاثة أشهر.. ما زلت أذكر علاج مهرتي؛ لأنني واظبت على إعداده بنفسي ووضعه على قائمتها يومياً». (قصتي: 79)

إنَّ ملمح التوثيق لا يغيب عن ثنايا قصة سموه، ومن هنا تستوقفنا أنواع الخلطات التي كانت تتكوّن منها العقارات المستخدمة في علاج الخيل، والتي تتكوّن من «الحرمل والكركم والسدر وغيرها من المواد».

دروس أولى

تعلّمنا قصة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد مع الخيل أروعَ ما يمكن للإنسان أن يكتسبه من كل شيء حوله؛ فالدروس التي استقاها سموه من الخيل تمثّل حكماً فياضة بالمعاني والعبر. يقول سموه: **«تعلَّمت من هذه المهرة الجميلة الكثير؛ تعلَّمت كيف تستطيع إقامة علاقة حقيقية مع هذا الحيوان الجميل، علاقة صداقة ووفاء.. تعلَّمت كيف يمكن التحدث مع الخيل والتفاهم معها أيضاً.. تعلَّمت أنَّ الخير عندما تضعه في الخيل يثمر خيراً أكبر. علَّمتني خيلي الوفاء. علَّمتني خيلي الأولى أنَّ الإنجاز لا يأتي على طبق من ذهب.. تعلَّمت من خيلي أنه عندما تحب شيئاً واصل فيه حتى النهاية. عندما تريد إنجازاً أعطه كلَّك، لا تعطِه بعضك، إلا إذا كنت تريد نصف إنجاز أو نصف انتصار».** (قصتي: 81)

السباق الأول

ما أجملَ تلك الأجواء التي يصفها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد قبل أيام من إقامة السباق الأول الذي حُفِرَ في ذاكرة سموه كما حُفِرَ عشقه الأول للفرس «أم حلج»؛ أجواء تعيدنا إلى الزمن الجميل الذي كان الناس خلاله منطبعين بالحياة البدوية الأصيلة؛ إذ لم تكن النهضة العمرانية والتكنولوجية قد أرخت بظلالها على حياة الناس. ولا مبالغة في القول: إنَّ القارئ لتلك الأوصاف لا يستطيع إلا أن يكرِّرَ التأمل مراراً وتكراراً لها؛ لما لها من جماليات الوصف لتفاصيل الاستعدادات التي تنم عن شيم الكرم والأصالة،

المتتبع لحياة سموه الأدبية يلمح مدى تأثير الخيل حتى في نتاجات سموه الإبداعية، وهذا ما تعكسه الوفرة الوافرة من القصائد التي وصف فيها الخيل

الحصان في سرديات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد النثرية والشعرية يمثّل بحراً زاخراً بالمعاني

وكأنها تنتقل بنا قروناً من الزمان إلى حيث يقف عنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى في سوق عكاظ يتحضران لإلقاء قصائدهما أمام الملأ. يقول سموه: «توالت أفواج الناس الذين حضروا من مناطق الإمارات كافة، وعندما شعرت عائلتي وشعب دبي بأسره بأنها دعوة عامة، قام كلُّ بيت بالطهي لأبناء القبائل القادمين لحضور الحدث، رجالٌ ونساء، فجُمِعَت الحيواناتُ وذُبِحَت استعداداً للمناسبة، وكانت النساء قد أعددن العطور منذ أسابيع ليتطيَّب بها الضيوف بعد تناول الطعام، وكان الرجال الذين يقرضون الشعر يحضّرون قصائدهم ويتمرنون على إلقائها ويقومون بتشذيبها في «المجلس» لتقرأ على مسامع الزوَّار الشيوخ». (قصتي: 82)

لعلَّ البعد الإنساني الذي ربط صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بـ«أم حلج» كان له الدور الأكبر في رفعة قدر هذه الفرس وتتويجها بمركز متقدم برفقة خيول أبناء الشيخ راشد بن سعيد.

أعظم حصان

وبالانتقال إلى محطة سموه المستفيضة في كتاب «قصتي»، مع الحصان «دبي ميلينيوم» نرى أنها وقفة تعكس بكل وضوح عظم العلاقة التي تربط صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بذلك الحصان العريق الذي أضحى حديث العالم، والمنزلة التي احتلها عند سموه، فهي سردية مثالية تخوض في عالم الفروسية؛ بدءاً من الأحاسيس الفياضة تجاه ذلك المخلوق الوفي، والعلاقة التي يخالها القارئ وكأنه يتحدث عن أحد أبنائه أو رفقاء دربه، وانتهاءً بمكانتها واعتلائها منصات التتويج والفوز في أعرق السباقات العالمية. وما تخصيص جزأين للقصة لهذا الحصان إلا إشعار بالقيمة العظمى التي ربطت سموه بعملاق الخيول التي ملكها خلال مسيرة سموه الحافلة، حتى إن القارئ ليستشف حين يقرأ قصة نهاية هذا الحصان وكان سموه يروي سيرة أحد عظماء التاريخ: «ما زلت لم أفق من أجمل حلم عشته مع أجمل صديق وأعظم حصان في العالم». (قصتي: 289)

ورغم فيض المشاعر والأحاسيس التي تمتلئ بها قصة سموه مع ذلك الخيل الأسطورة، فإنها تمثّل إضافة إلى ذلك مرجعاً توثيقياً لما تحتله الخيول من مكانة في التراث العربي والإماراتي على وجه الخصوص، إذ يسرد سموه فيها خلاصة تجاربه في عالم الخيول الأصيلة، وما تمثله بالنسبة إلى العربي، وقيمتها ومكانتها لديه، والعلامات التي تعرف بها أصالتها

الحصان «دبي ميلينيوم»

وعلو قدرها: «العينان فقط تخبرانك الكثير. انظر إلى ما تنظر إليه الخيول، بعضها تجفل وتحرك ذيلها لمجرد رؤية أي شيء غريب مر من أمامها، وهناك خيول تبقى في مكانها وتحدق في الأشياء الغريبة بشيء من الفضول والتحدي، تخبرك نظرات الحصان ما إذا كان قائداً أو تابعاً.. العيون الواسعة عند الخيل هي كالوجه البشوش الصريح عند البشر، وتعبّر بوضوح عن الصدق والإخلاص. ولا يقتصر الأمر على حجم العيون، بل أيضاً بريقها ولمعانها وعمقها وكأنها محيطات لا تنتهي». (قصتي: 272)

طريقة «ميلينيوم»

إنَّ الحصان في سرديات صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد النثرية والشعرية يمثّل بحراً زاخراً بالمعاني، فهو ميدانه الواسع الذي يعشق الخوض في غمار أوصافه، ولا يملُّ الحديث عن ميزاته وعجائب عالمه، وهذا ما يتراءى من خلال استقصاء سموه لأوصاف أسطورة السباقات الحصان المظفر «دبي ميلينيوم» في سرده لقصته معه: «كان «دبي ميلينيوم» حصاناً يحب الفوز، ولكن على طريقته، كان يسابق بالطريقة التي يراها هو مناسبة دون الاستماع كثيراً لمن يمتطيه. كان مختلفاً، ينطلق منذ البداية بأقصى سرعة، ويستمر متفوقاً حتى النهاية. لم يكن أبداً يحب الفوز بفارق بسيط.. كان يحب التباهي.. كان يكسر عزيمة منافسيه بقوة منذ البداية، بل كان يلغي وجودهم ويحطُ من قيمتهم بشدة لدرجة تقعدهم عن الجري كالسابق مرة أخرى.. لم يكن ينافس بطريقة الند للند، إنما كان يعشق الانفراد دائماً، كأنه يطلب من الأحصنة الأخرى اللحاق به، وكان ذلك يحطم قلوبها». (قصتي: 278)

الآن في الأسواق

الجزء الأول (1 - 6)

من مجلد

مدارات ونقوش

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

100 درهـــم

إطلالة تاريخية على مدينة ابن الوليد

مساجد حمص القديمة

حمص سنة 1899

د. غازي مختار طليمات*

تقع مدينة حمص وسط سورية بين نهر العاصي وبادية الشام، وتلقَّب بجارة العاصي، وحمص القديمة، ومدينة ابن الوليد، وأم الحجار السود؛ لأنها ترصف شوارعها وتبنى مساكن أهلها بالحجارة البازلتية السوداء، وصفها المؤرخ المقدسي (390 هـ) في كتابه أحسن التقاسيم: بأنها أكبر بلاد الشام، ولها قلعة ترى من خارجها.

فتحها العرب المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب سنة 14هـ بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، وتمَّ فتحها صلحاً بعد حصار.

ذكر المؤرخون أنَّ أبا عبيدة أو السمط بن الأسود الكندي: «صالح أهلها» فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد. وهذا الربع لا يعني الاغتصاب القسري، وإنما يعني حسن الجوار بين المسلمين وأهل الكتاب في العبادة. ومما يدل على حسن الجوار والمعايشة المتسامحة الخبر التالي:

«لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنّا فيه من الظلم والغشم، وتندفعن جند هرقل عن المدينة معكم، ونهض اليهود، فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها».

وفحوى الخبر أنَّ أهل الكتاب شاركوا المسلمين في حماية حمص من الروم بعد أن أعجبوا بعدلهم واكتفائهم بربع كنيسة، لإقامة الصلاة ريثما يستقرون ويبنون المساجد. وحينما استقرَّ المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية بنوا

من ألقاب حمص:
جارة العاصي، حمص القديمة
مدينة ابن الوليد، أم الحجار السود

المساجد إلى جوار الكنائس بلا تعصُّب ولا اضطهاد.

من المساجد القديمة التي بقيت ماثلة حتى العصر الحاضر:

- جامع الأربعين في الزاوية الشمالية الغربية من حي الأربعين على سور المدينة، وتظهر صورته البقية الباقية من سور المدينة والمئذنة المبنية على أحد أبراجه الضخمة.
- جامع مصطفى الحسيني التركماني، وفيه بركة رخامية للوضوء وسبع غرف وحرم للصلاة وفسحتان... إلخ.
- جامع بازرباشي في سوق النسوان، وله مئذنة سداسية الأضلاع. وفيه حرم وفسحة مكشوفة.. إلخ.
- جامع خالد بن الوليد، ويقع في الزاوية الشمالية الغربية من الحي الذي سمي باسمه «الخالدية». وهو أحدث الجوامع القديمة بناء، وأجملها. له مئذنتان شامختان سداسيتان بنيتا بالحجر الأبيض، وسقفه قبة كبيرة تحيط بها أربع قباب صغيرة، وفيه ضريح البطل خالد بن الوليد، وضريح ابنه عبدالرحمن. وله فسحة كبيرة مكشوفة، فيها بركة ماء للوضوء، وفي قسمها الشمالي رواق كبير يرتفع على أعمدة رشيقة. وطراز بنائه يذكّر السائح بطراز المساجد العثمانية التي تفخر بها اسطنبول كمسجد السلطان أحمد.

وفي حمص جوامع كثيرة قديمة، نكتفي بسرد أسمائها وصورها؛ لأنها متشابهة في البناء والتصميم، وإن اختلفت بعض الاختلاف في أزمنة البناء، وها هي ذي أسماء تلك المساجد وصورها.

وبوصف فيه بعض التفاصيل وتاريخ مشفوع بالأرقام ومستمد من كتب التاريخ، ولا سيما تاريخ حمص لنعيم الزهراوي

جامع الأربعين

جامع مصطفى باشا الحسيني

جامع خالد بن الوليد

ضريح خالد بن الوليد

نختم هذه المقالة بالحديث عن جامعين: الجامع النوري الكبير وجامع الفضائل.

- جامع النوري الكبير: يقع في وسط المدينة، وفي قلب الأسواق التجارية في منطقة «باب السوق». وقد كان مشيداً على أكثر من سبعة آلاف متر مربع، ثمَّ تقلصت مساحته بعد تجديد بنائه إلى أكثر من خمسة آلاف متر مربع. فيه حرم مستطل كبير جداً يحاذيه من الجنوب سوق تجارية مسقوفة كسوق الحميدية في دمشق وكأنها بعض أوقافه، وفي داخله سبع عشرة غرفة للتدريس أو لسكن المشايخ والمعتكفين، وفي زاويته الشمالية الشرقية مكتبة للدارسين.

أمّا فسحته فكبيرة جداً تشغل نصفه الشمالي وهي مرصوفة بصفائح الحجارة السوداء، وتعلو زاوية حرمه الشمالية الغربية مئذنة مربعة الأضلاع، كانت حتى منتصف القرن العشرين ترفع راية كبيرة عندما يحين وقت الأذان، فإذا ما رآها مؤذنو المساجد الأخرى وأهل المدينة أذّنوا وأقاموا الصلاة.

وتعود تسميته بهذا الاسم إلى نور الدين زنكي (ت: 569 هـ)

الذي رمَّمه أو أعاد بناءه بعدما تصدّع أو تهدّم بزلزال كبير ضرب المدينة.

• جامع الفضائل: يقع في حي «بستان الديوان»، وهو – كغيره من مساجد حمص – مبني بالحجارة البازلتية السوداء وله مئذنة مربعة الأضلاع، تحتوي درجاً لولبياً، يصعد عليه المؤذن ليصل إلى تاج المئذنة. وتاج المئذنة ذو شرفة تطل من الجهات الأربع على الأحياء المجاورة. وتعلو الشرفة قبة لها ثماني نوافذ.

وممّا يميز هذا الجامع أنه يحمل هويته على صفحة كبيرة من الحجر تعلو سقف بابه، نقشت عليها ستة أبيات تسمى من بنائه، وتحدّد تاريخ بنائه بحساب الجمل، لا بالأرقام، وهي:

ألا إنَّ هـذا مسجـد قــد أقامـه

على أسس التقوى أب للفضائل

علي شهاب الدين ذو العلم والتقى

لـه نسب يسمو على كل فاضل

لآل طليمـات الحسـيني ينتـمي

فأكرم بـه أصلاً خلا عـن ممـاثل

فـلا زال معمــوراً يــوم رحــابه

مصلون في وقت الضحى والأصائل

جامع الفضائل (جامع بيت طليمات)

جامع بازرباشي

صورة قديمة لصحن الجامع النوري

جامع النوري أو الجامع الكبير

ولا زال غيث العفو ينهل دائماً

علـى قـبر بانيــه بطـــل ووابل

ومذ تمَّ بنيــاناً نطقـت مؤرخـاً

«ببنيــاه قـد كـان أبهى المنازل»

وفحوى هذه الأبيات أنَّ بانيه يسمّى «علي شهاب الدين» من آل طليمات الذين آلت إليهم نقابة الأشراف في حمص، وأنَّ تاريخ بنائه وفق حساب الجمل الذي يعطي كلَّ حرف من حروف الأبجدية قيمة فردية هو عام 472 هـ، أي قبل ما يقرب من ألف سنة. وحساب الجمل قديم عند العرب، تعود بداياته إلى سنة 81 هـ في زمان عبدالملك، وشاع وذاع وأكثر من استعماله في مؤلفاته أبو الريحان البيروني (ت: 440 هـ).

***كاتب وشاعر سوري**

قريباً في المكتبات

زايد بعيون تركية

كتاب يلقي الضوء على حضور المغفور له

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

في الإعلام التركي ونظرة الصحافة التركية للإمارات

إعداد وترجمة
محمد زاهد جول

تقديم ومراجعة
جمال بن حويرب

من إصدارات

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

يصدر باللغة العربية والتركية

من أطلال عَمورية

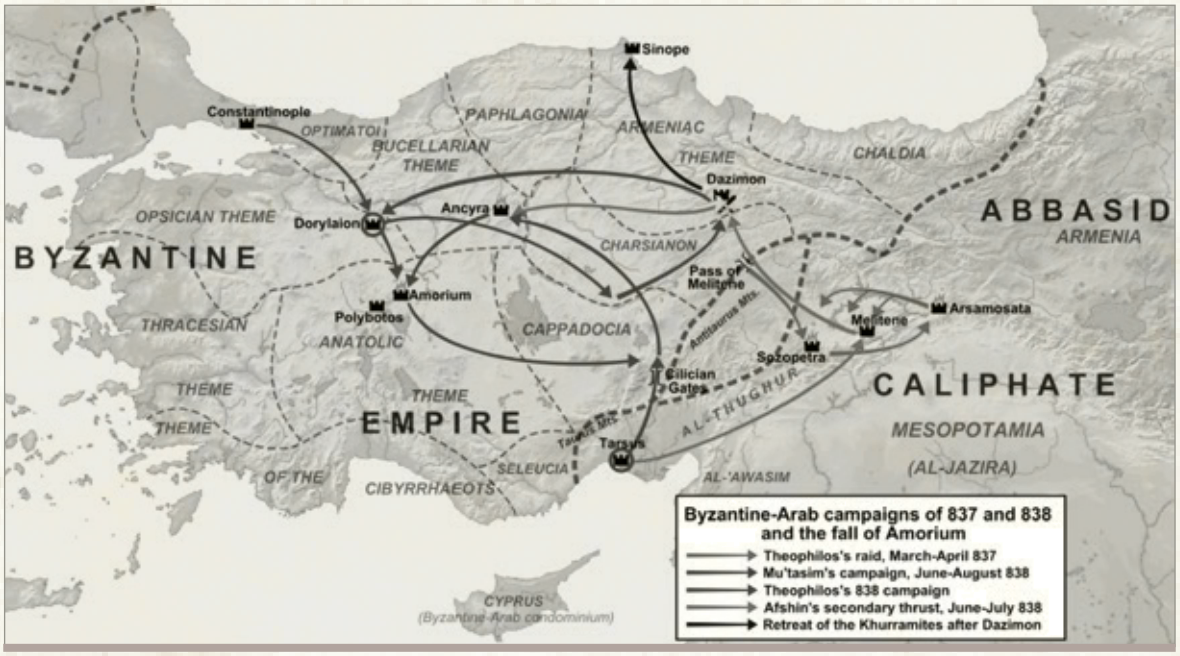

خريطة الحملات البيزنطية والعربية في الأعوام 837–838، توضح غارة ثيوفيلوس على بلاد الرافدين وغزوة المعتصم الانتقامية لآسيا الصغرى «الأناضول»، والتي انتهت بفتح عَمورية

محمد زاهد غول*

تقع مدينة عَمورية في منطقة عرفها التاريخ بأسماء كثيرة كان آخرها الجمهورية التركية، فعمورية تقع في تركيا[1]، ومن قبلها كانت مدينة في الدولة العثمانية والامارة السلجوقية التابعة للخلافة العباسية، وقبلها الإمارات التابعة للخلافة الأموية، وما قبلها من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وغيرها، ومنذ أربعة عشر قرناً أصبح تاريخ عمورية جزءاً من التاريخ الإسلامي المتنوع، فقد كانت بداية احتكاك المسلمين مع عمورية في عهد الخليفة عثمان بن عفان حيث بلغت الفتوحات في عهده مدينة عمورية[2]، وتواصل ذلك الفتح في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، حيث حاصرها المسلمون في عهده عام 46 هـ / 666 م، قبل فتحها في عهد الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية أثناء حملته على القسطنطينية عام 49 هـ / 669 م، أي أن المسلمين دخلوا عمورية من القرن الأول الهجري، وما كان بعد الفتح الأول من مناوشات مع البيزنطيين فقد كانت احتكاكات أو هجمات متبادلة بين المسلمين والصليبيين، ولكن الشهرة الكبيرة التي حظيتها مدينة عمورية فهي عند تحريرها من الاحتلال البيزنطي في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله عام 223هـ / 838 م.

اسمها وموقعها:

عرفت عَمورية بفتح العين وتشديد الميم في تسميتها العربية، قال ياقوت الحموي: "سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام"[3]، وقيل إنَّ اسمها باليونانية هو Amorion ، وتسمى اليوم Amorium، وأنها مشتقة من كلمة 'amor' وتعني باللاتينية "الحُب"، والموقع الذي تجمع عليه المصادر القديمة والحديثة والأعمال التنقيبية الأثرية هو في ولاية أفيون قره حصار الواقعة غرب الأناضول في منطقة إيجة، وتحديداً في قرية حصار كوي على بعد 13 كم من مركز مدينة أميرداغ في ولاية أفيون قره حصار،

(1) انظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي (623هـ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 158/4.

(2) الحميري، محمد بن عبدالمنعم (900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية 1984، ص 413.

(3) الحموي، معجم البلدان، 158/4.

وبعض الدراسات ترى أنَّ عمورية تقع في ولاية إسبارطة التركية، على خلاف ما ورد في المصادر القديمة وتحديداً في مقاطعة Uluborlu أولوبورلو الواقعة على بعد 65 كم من ولاية Isparta اسبارطة - الواقعة جنوب غرب تركيا - وعلى بعد 180 كم من أنطاليا وعلى بعد 20 كم من هضبة تكة على طريق أنطاليا-إسطنبول.

خريطة ولاية أفيون قره حصار وتظهر فيها أيضاً موقع مدينة أميرداغ

وفي بعض الدراسات أنَّ تاريخ عمورية القديم يعود إلى 2000 ق. م. وذلك وفق دراسات أثرية قديمة، وأنَّ عمورية كانت ثاني أهم حواضر الدولة البيزنطية بعد القسطنطينية، وأنها تأسَّست في الفترة الهيلينية على يد الفريجيين، وأنَّ أوج ازدهارها القديم كان في العهد البيزنطي حيث كانت مركزاً للولاية، وذلك قبل دخولها في العهد الإسلامي، فعمورية كغيرها من مدن المنطقة قد عرفت دولاً وحضارات كثيرة منها الحضارة الحيثية والفريجية واليونانية والرومانية والبيزنطية والأموية والعباسية السلجوقية والعثمانية، وموقعها الإستراتيجي على الطريق العسكري المنطلق من القسطنطينية إلى إقليم سيليكيا، والعكس المنطلق من جنوبها من البلاد العربية إلى القسطنطينية جعلها على أهمية كبيرة في الأحداث العسكرية والسياسية بعد ذلك.

لم يصنع الفتح الإسلامي الأول الذي قاده الخليفة الأموي يزيد بن معاوية في طريق حملته إلى القسطنطينية عام 49 هـ / 669م الشهرة لمدينة عمورية، بل لم يصنع لها الاهتمام العسكري أيضاً،

حاشية الإمبراطور ثيوفيلوس، يخففون عنه بعد تدمير المدينة التي كانت مهد سلالته

ولذلك وقعت تحت الاحتلال البيزنطي مرة أخرى من القائد البيزنطي أندرياس، وبقيت المناوشات بين المسلمين والبيزنطيين بعدها متواصلة إلى العهد العباسي، ولكن المجازر التي ارتكبها الروم والبيزنطيون في الهجوم على المدن القريبة من عمورية ومنها إغارة الروم على زبطرة (Dogansehir) ملاطية زادت من أهميتها العسكرية، وهذه ثغور كانت تعدُّ حدود الدولة العباسية الشمالية في ذلك الوقت، وتواصل الاعتداءات الرومية عليها أقلق الدولة العباسية، فقد كان ملك

أطلال عَمورية

الروم يحارب المسلمين بقوات كثيفة تبلغ 100 ألف جندي، منهم سبعون ألفاً من البيزنطيين، وثلاثون ألفاً، وكان هذا الاعتداء الرومي بقيادة الإمبراطور توفيل بن ميخائيل، وقد قام بقتل أهل هذه المدن والقرى الشمالية، وذبْح أطفالها ونسائها وأسْرِ رجالها وتدمير ممتلكاتها، حتى وصل الخبر إلى مركز الخلافة العباسية في بغداد.

سبب هجوم الروم على مدينة زبطرة:

ذكر عدد من المؤرخين المسلمين ومنهم ابن جرير الطبري وابن كثير وابن الأثير أخباراً عن تلك الحروب والمعارك التي كانت تقع بين أحد الخارجين عن سلطان الدولة العباسية وهو بابك الخرمي صاحب بلدة تسمى «البذ»، وبين قواد العسكر من جيوش الدولة العباسية، وكان من أكبرهم القائد العسكري الأفشين واسمه حيدر بن كاوس في خلافة المعتصم بالله

سنة 220هـ، فحارب الأفشين بابك الخرمي في حروب متواصلة حتى قيل إنَّ الخليفة المعتصم خرج بنفسه على رأس جيش لمقاتلة بابك الخرمي أيضاً، وعندها كتب بابك الخرمي إلى إمبراطور الروم توفيل بن ميخائيل أن يشن هجوماً على ملاطية حيث إنَّ الخليفة المعتصم بالله قد خرج لحرب بابك الخرمي، وهدفه أن يخفف شدة الخناق من قبل الأفشين، فدفع ذلك الإمبراطور البيزنطي المتهور إلى الإغارة على الثغور الإسلامية في زبطرة - Dogansehir (ملاطية)، ظناً أنَّ صراع العباسيين مع بابك الخرمي أنهكت من قوتها.

وبعد أن قام توفيل باحتلال زبطرة / ملاطية، تواردت أخبار غارة الإمبراطور الرومي توفيل بن ميخائيل على الثغور الإسلامية وارتكابه الفظائع إلى مسامع الخليفة المعتصم بالله فاستعظم ما حدث، ويقال إنه بلغه استغاثة امرأة هاشمية وقعت في أيدي الروم وهي تصيح وامعتصماه، لبّى المعتصم النداء ونادى بالنفير العام، وحين همَّ بالمسير سأل عن أمنع مدن التي تحت الاحتلال البيزنطي التي لحقها الأذى والقتل والتدمير فأشاروا عليه بعمورية.

قال ابن كثير: "وفي هذه السنة أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات، ومثَّل بمن وقع في أسره من المسلمين، فقطع آذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم قبحه الله ... فلما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالنفير، ثمَّ نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش"[4].

منمنمة من مخطوطة مدريد سكيلتزس تصور حصار العرب لعَمورية

فتح عمورية:

سار المعتصم بجيش جرّار من سامراء إلى عمورية وقبل الدخول إليها سمى قسماً من جيشه وعهد بقيادته إلى أفشين، وأمره أن يسلك طريق سروج - الواقعة في ولاية أورفا التركية على حدود سورية – وهو التقسيم الأولي للجيش العباسي، ثمَّ توجّه بقيادة بقية الجيش بنفسه، أي بقيادة المعتصم بالله إلى طرسوس – الواقعة في ولاية مرسين – ونزل على مسيرة يوم منها على نهر اللامس – نهر لاموس أو Limonlu Çayı الواقعة في بلدة أردملي التابعة لولاية مرسين.

علم الإمبراطور البيزنطي بتحرك القوات العباسية بقيادة المعتصم بالله، فحشد قواته وغادر القسطنطينية ووقف على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية، وأمر بتحصينها وعهد بحمايتها إلى قائده إيتيوس ياطس Aetius كما أعدَّ خطة لمهاجمة الجيش العباسي.

بعد أن تجمّعت القوات العباسية أعاد المعتصم بالله تقسيم الجيش ثانية، فقسَّمها إلى ميمنة وميسرة وقلب ومقدمة وساقة، وتمَّ تعيين أشناس على المقدمة ويتبعه محمد بن إبراهيم، وعلى الميمنة إيتاخ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار الخياط، وعلى الساقة بغا الكبير ويتلوه دينار بن عبد الله، وعلى القلب عجيف بن عنبسة على أن تجتمع هذه القوات في أنقرة، وفي 25 من شهر شعبان اصطدمت قوات أفشين بقوات الإمبراطور توفيل في منطقة دازمانا Dazmana في قرية تورهال آكجا

(4) انظر: ابن كثير (774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة 1985، 286/10.

حظيت عمورية بشهرة كبيرة في التاريخ الإسلامي، بسبب وقعة عمورية الشهيرة التي نتجت بانتصار الخليفة العباسي المعتصم بالله على قوات الإمبراطور الرومي توفيل بن ميخائيل

تارلا Turhal Akçatarla Köyü الواقعة في ولاية توقات التركية حالياً في معركة دازمنا Dazmana، كانت نتيجتها هزيمة الجيش البيزنطي وهروب توفيل إلى القسطنطينية، وصلت أنباء الانتصار للمعتصم فواصل سيره إلى عمورية ووصلت طلائع الجيش إليها بقيادة أشناس في الخامس من رمضان، أما المعتصم فوافاه في السادس من رمضان.

ولما وصل توفيل إلى القسطنطينية وجد نفسه أمام ثورة فانشغل بها ولم يستطع مساعدة عمورية، فاضطر لإرسال اعتذار للمعتصم عمّا حصل لملاطية وزبطرة، مبرراً أنَّ ما حصل كان خلاف أوامره، ويعده بأن يعيد الأسرى ويبني المدينة من جديد، لكن المعتصم رفض هذا العرض وفرض حصاراً على عمورية.

أما أهل عمورية فقد تحصّنوا داخل أسوار مدينتهم، متّخذين ما استطاعوا من الحيطة والحذر.

قال ابن كثير: "قسم المعتصم الأبراج على الأمراء، فنزل كل أمير تجاه الموضع الذي أقطعه وعينه له، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشد إليه، أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجع إلى الاسلام وخرج إلى

لوحة يونانية تجسّد مقدم السفير البيزنطي إلى الخليفة المعتصم بالله

الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبني بناءً ضعيفاً بلا أساس، فنصب المعتصم المنجنيق حول عمورية، فكان أول موضع انهدم من سورها ذلك الموضع"[5].

استبشر الخليفة العباسي المعتصم بالله بفتح عمورية وقد فتح معها مدينة أنقرة[6]، وكان استبشاره أن جنوده كانوا من الأتراك[7]، وضرب المعتصم خيمته قبالة هذا الحصن، ونصب المجانيق عليه، وبدأت المجانيق الضخمة مع آلات الحصار الأخرى تعمل عملها، فانفرج السور من ذلك الموضع، فلما رأى أهل عمورية انفراج السور حالوا تدعيمه بالأخشاب الضخمة لكن دون فائدة بسبب توالي قذائف المجانيق عليه، فكتب ياطس إلى تيوفيل كتاباً يعلمه فيه بأمر السور وفداحة الموقف وقوة الحصار، وأرسله مع رجل يتقن العربية ومعه غلام رومي، لكنهما وقعا في أسر المعتصم بالله، فكان فتح عمورية في شهر رمضان من عام 223 هـ / 838 م.

حظيت عمورية بعد ذلك بشهرة كبيرة في التاريخ الإسلامي، وكلها بسبب وقعة عمورية الشهيرة التي نتجت بانتصار الخليفة العباسي المعتصم بالله على قوات الإمبراطور الرومي توفيل بن ميخائيل وفتحه للمدينة، وقد تغنى بها شاعر بلاط الخليفة العباسي أبو تمام ببائيته الشهيرة:

يا وقعة عمورية انصرفت

منك المنى حفّلاً معسولة الجلب

وعاد المعتصم بالله بعد أن استتبَّ له الأمر في عمورية إلى سامراء تعتليه نشوة النصر مصطحباً معه باب عمورية وغنائم كثيرة غنمها في المعركة.

***كاتب ومترجم تركي**

(5) المرجع السابق.

(6) الحموي، معجم البلدان، 158/4.

(7) انظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 413.

الشعر الغنائي العربي وتأثيره في الإمارات

*عبد الغفار حسين

وقع في يدي كتاب صغير الحجم لأدونيس، عنوانه «الشعرية العربية».. وقرأته في الطائرة في أحد الأسفار، رغم أنه مؤلّف من سنين، وكانت متعة قراءته من أجمل ما مرَّ بي من المتع.

الكتاب صغير الحجم كما قلت، وعدد صفحاته لا يزيد على مائة صفحة إلا بالقليل.. ولكنك لا تفرغ من قراءته حتى تحس بأنَّ الكتاب الذي قرأته كان كتاباً ضخماً، ضخماً بما يحتويه من قيمة معرفية في الشعر العربي، قد لا تحتويها مجلدات من الكتب في موضوعه. وتحس من قراءته بأن قلم أدونيس ليس قلماً عادياً، وأن قلم أدونيس ذو قامة معرفية عالية.

يتكلم أدونيس، أولاً عن الشعرية، والشفوية الشعرية.. أي أن الشعر العربي نشأ نشأة شفوية، كالكلام الذي يتكلم به الإنسان.. ثمَّ يتحدث عن نشأة هذا الشعر كنشيد وصل إلى الآذان عن طريق السماع.. ويعرّف أدونيس الصلة بين الشعر العربي والغنائي.. ويقول: "كان الإنشاد والذاكرة بمثابة الكتاب الذي ينشر الشعر الجاهلي، من جهة، ويحفظه من جهة ثانية".

وإذا رجعنا إلى جذر كلمة نشيد في اللغة، نرى أنها تعني الصوت، ورفع الصوت، والشعر نفسه الذي يتناشده الناس.. وبما أنَّ الأصل في الشعر الجاهلي هو أن ينشد، فقد كان الأصل أن ينشد الشاعر نفسه قصيدَته.. فالشعر من فم قائله أحسن، كما يعبّر الجاحظ.. وفي هذا ما يلمح إلى أنَّ عرب الجاهلية كانوا يعدون إنشاد الشعر موهبة أخرى، تضاف إلى موهبة قوله.. والحق أنه كان لموهبة الإنشاد أهمية قصوى في امتلاك السمع، أي في الجذب والتأثير.. خصوصاً أنَّ السمع للجاهلي أصل في وعي الكلام وفي الطرب.. فهو، كما يعبّر ابن خلدون "أب للكلمات اللسانية".

ويواصل الأستاذ أدونيس كلامه عن إنشاد الشعر وغنائه، فيقول:

مبارك العقيلي

أحمد أمين المدني

"وليس الإنشاد إلا شكلاً من أشكال الغناء، ويحفل الموروث الأدبي العربي بالإشارات إلى ما يؤكد ذلك.. فكثيراً ما شُبه الشعراء المنشدون بالطيور المغردة، وشُبِّه شعرهم المنشود بتغاريدها.. وثمة كلمة مشهورة توجز ما نذهب إليه، تقول: مقود الشعر الغناء".

تتجلى لنا الصلة العضوية بين الشعر والغناء في الجاهلية. ومن هنا نفهم دلالة القول إنَّ العرب كانت "تزن الشعر بالغناء"، أو "إنَّ الغناء ميزان الشعر".

(المرزباني، الموشح، ص39)

ويذهب ابن رشيق إلى القول: إنَّ الغناء أصل القافية والوزن (العمدة 15/1)، مؤكداً أنَّ "الأوزان قواعد الألحان، والأشعار معايير الأوتار" (المصدر نفسه 9/1). وأسطع دليل على أنَّ الشعر، بالنسبة إلى العربي الجاهلي، إنشاد وغناء، كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، الذي يقع في واحد وعشرين مجلداً، والذي صرف في تأليفه خمسين سنة.

ويحلل ابن خلدون هذه الظاهرة، قائلاً: "كان الغناء في الصدر الأول من أجزاء الفن، لأنه تابع للشعر، إذ الغناء إنما هو تلحينه.. وكان الكتّاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به، حرصاً على تحصيل أساليب

إذا رجعنا إلى جذر كلمة نشيد في اللغة، نرى أنها تعني الصوت، ورفع الصوت، والشعر نفسه الذي يتناشده الناس

الشعر وفنونه"، ويضيف محدداً صناعة الغناء بأنها "تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة". (المقدمة، ص488).

أمّا إنشاد الشعر ذاته، فقد كانت له في الجاهلية، تقاليد خاصة استمرت في العصور اللاحقة.. كان بعض الشعراء مثلاً، ينشد قائماً، وكان بعضهم يرفض، كبرياءً، أن ينشد إلا جالساً، وكان بعضهم يقوم بحركات من يديه أو جسمه كله، كالخنساء التي كانت، فيما يُروى "تهتز.. وتنظر في أعطافها"، وفي هذا ما يحقّق شفوية اللقاء بين فعل الصوت وفعل الجسد، وفعل الكلمة وفعل الحركة.

وكان بعض الشعراء يلبس، حين ينشد شعره، ثياباً جميلة مختلفة عن ثيابه العادية، كأنَّ الإنشاد احتفال ـ عرس أو عيد.. وكان بعضهم، في العصور اللاحقة، يتزيّن بزي الماضين من شعراء الجاهلية، تأكيداً على الصلة الحية بين الحاضر والماضي".

■ ■ ■

مرَّ بنا ما يراه المفكر الكبير أدونيس، عن الشعر الغنائي وإنشاد الشعر، والحقيقة هي كما يراها أدونيس، أنَّ الشعر العربي يطربنا ويجعلنا نصيخ السمع إليه، عندما ينشدنا إياه ذو صوت شجي، وقد تضيع علينا حلاوته لو كان صوت المنشد من الأصوات التي لا تطرب لها الأسماع.

وقد كان في الماضي شعراء فحول، لم يكونوا من ذوي الأصوات الغنائية الجيدة، وكانوا عندما يلقون أشعارهم بين أيدي ممدوحيهم، مثلاً، يحسون بأنَّ أصواتهم غير مستساغة، وغير ذات تأثير في السامعين، ومن هؤلاء الفحول، الشاعر المعروف جرير، الذي كان يستأجر شخصاً ليلقي عنه قصائده.. ويقال الشيء نفسه عن أحمد شوقي، الذي كان ممَّن لا يستساغ صوته، وكان يطلب أحياناً من صديقه الشاعر حافظ إبراهيم أن يلقي عنه القصائد التي كتبها، وكان حافظ من أصحاب الأصوات الجميلة، وصاحب حنجرة خطابية عالية.

وقد تتسبَّب مغنية أو مطربة في شهرة شاعر أكثر من شعر الشاعر نفسه، وكانت سيدة الغناء العربي أم كلثوم من تلكم المطربات، حيث كانت تشهر من تغني له، وتجعل الناس يقبلون على البحث عن الشاعر الذي يكتب كلمات أغنيتها، وعندما غنّت أم كلثوم رباعيات الخيام التي ترجمها أحمد رامي، اشتهر هذا الشاعر والمترجم، وأصبح ملء السمع والبصر..

أدونيس

نزار قباني

ويروى عن نزار قباني الشاعر المشهور قوله إنَّ الأغنية التي غنتها له نجاة الصغيرة:

"أيظن أني لعبة بيديه

أنا لا أفكر في الرجوع إليه"

هي التي أذاعت اسمه على الملأ أكثر من دواوينه، وجعلت الناس تقبل عليه كشاعر.

وفي الإمارات كان ومازال عندنا شعراء منشدون، يُطربون من يستمع إليهم وهم يتلون أشعارهم بطريقة غنائية، وأكبر شاعر غنائي عرفته الإمارات، هو الشاعر مبارك العقيلي، الذي يقال إنه كان يغني بشعره أحياناً ويضرب عليه بالدف، وكان منزله منتدى لأهل الأدب والفكر في سوق ديرة بدبي.. وكان شعر العقيلي بسبب موسيقاه ونغماته الحلوة، يتردد على الألسن وينشده المنشدون في مجالسهم.. وأول من غنّى في الإمارات بشعر العقيلي وسجّله على "إسطوانات" هو المطرب محمد عبدالسلام، في الهند، بتمويل وترتيب من رجل الأعمال والوجيه المعروف يوسف الخاجه، الذي كان يتعامل في الأدوات الموسيقية، وله محل في ديرة في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، وما زال.

وطرب الناس كثيراً لأغنية محمد عبدالسلام من كلمات العقيلي، عام 1951، وكان الناس يتجمعون في المقاهي في دبي والشارقة وأبوظبي والباطنة بعُمان، للاستماع إلى

أغاني محمد عبدالسلام وغيره من المطربين الخليجيين كمحمد فارس، وضاحي بن وليد، والفضالة، ومحمد الماس ومحمد خان اليمانيين.

* وغنى محمد عبدالسلام للعقيلي أغنيتين على ما أعتقد إحداهما:

قلب الشجي المدلُهْ
من ذا على الحب دلّهْ
حتى غدا ذا ولوع
وذا غرام مولّه
فؤاده ذاب وجداً
وطرفه الدمع هلّه
يا من لمضنى معنّى
فرط الأسى قد أعلّه
مشتاق وصل حبيب
لما تولاه سلّه
بالله أن تسألوه
قتلي له من أحله؟!
فيا رسولي إليه
إذا بلغت المحلّه
فاقرأ سلامي عليه
برأفة ثم قل له
الهجر من غير جرم
يجوز في أي ملّه؟!
والهجر إن دام قتل
والقتل حرّمه الله
واسأله وصلاً وقرباً
إذا ما سألت بذلّه
وصف له ما أقاسي
من الجوى فلعلّه
قل قد تركناه صَباً
عقد التصبّر حلّه
يقول رائيه هذا
فتى أصابته خِلّه!
قد صح أن هواه
بعد الهدى قد أضلّه
فارحمه قبل ثواه
وإن ثوى فتولّه
وإن شوقي إليه
أذاب قلبي كلّه
ويشهد الله أني
أحبّه لا لعلّه
يامن تملك قلبي
دون الأنام وحلّه
رفقاً عليّ فإني
لم أخط في نهج زلّه
مني عليك سلام
ما لمزن ودقاً أهلّه
وما أذاب هواك
القلب الشجي المدلّه

والأغنية طويلة، ولكن على هذا النسق الظريف والمطرب للسمع، رغم وجود بعض الخلل العروضي، خاصة أنَّ محمد عبدالسلام الذي كان يلقَّب بمطرب الحي، ذو صوت شجي، وفي نغماته الكثير من الرقة.

ولو أرّخ أحدنا لشعراء الإمارات وأدبائها وكتّابها المنتمين إلى الطبقة الثالثة، والتقييم هنا من عندي، وللسلسلة الزمنية، لوقف عارف الخاجة بغير منازع في مقدمة صفوف هذه الطبقة، ولكن الكلام الذي مرَّ، وهذا الحديث يخصُّان الشعر الغنائي، والشعراء الغنائيين في الإمارات.. وإذا كان في العمر متسع، أرجو أن أكتب يوماً عن الجانب الأدبي والشعري لهذه الطبقة التي أسميها في التسلسل الزمني «الثالثة».. عارف الخاجة، مانع العتيبة، وسلطان الحبتور، بعد الطبقة الثانية التي يأتي فيها سلطان العويس، وأحمد أمين، وحمد بو شهاب.

وإذا تركز حديثنا على عارف الخاجه باعتباره متعدد المواهب، وذا مكانة خاصة في الشعر الغنائي، فإن عارف يعدُّ متميزاً في هذا الفن، ولا أعتقد أنَّ أحداً ممَّن في طبقته أو من غيره في الإمارات يستطيع أن يجاري عارف في هذا النسق الشعري، كما أعتقد أنَّ عارف يقف في المقدمة بين الشعراء الغنائيين الخليجيين بصفة عامة.. إضافة إلى ذلك، فإنَّ عارف يتميَّز بأنه كاتب جيد وناثر ذو أسلوب كتابي غير عادي، وصاحب أعمدة صحفية متميزة، ونثره من طراز فني جميل تغذيه ثقافة واسعة في فن المقالة.

وعندما يشير أحدنا إلى الشعر الغنائي، قد يواجه بسؤال: أليس الشعر العربي "الكلاسيكي" كله بتركيبته وقوافيه وموسيقاه، شعراً غنائياً؟ حتى الشاعر نفسه الذي يقرض الشعر قد يترنم به وينشده، وقد يغنيه أحياناً لو شعر باستحسان الناس لصوته؟! الإجابة عن هذا السؤال هي: نعم.. ولكن ما كل شعر يصلح للغناء، ولا بدَّ أن تكون القصيدة المغناة منتقاة الكلمات والألفاظ، ومن النوع الذي يجري بسهولة على ألسنة الناس، وفيه شيء من لغتهم ومصطلحاتهم العادية، بعيداً عن التقعر ووحشي الكلام، ومن المستحسن أن يتغنّى الشاعر بكلماته ويدندن بها مع نفسه، وبينه وبين خاصته من الناس، بغية استقصاء رأي الآخرين، واعتبر البعض تغني الشاعر بشعره مجالاً لتجريب الشعر

أم كلثوم

واختباره.. كما يقول حسان بن ثابت:

تغنَّ في كل شعر أنت قائلهُ

إنَّ الغناء لهذا الشعر مضمارُ

وعندي، أنَّ عارف الخاجة قَدرَ أن يتعمَّق في فهم الأغنية وتأثيرها ووقعها على السمع، ولذلك نجح في أن يكون في المقدمة من مؤلفي الأغاني والأناشيد، ليس في الإمارات فقط، بل في المنطقة الخليجية كلها كما قلنا.

تغنّى بشعر عارف كثير من المغنين والمطربين الإماراتيين والخليجيين، ومن النادر أن نجد مطرباً أو مغنياً إماراتياً لم يغنِّ لعارف، كما شارك في غناء أعماله الوطنية كالأوبريت والأناشيد الكثيرة مطربون عرب لهم صيتهم وأسماؤهم الفنية، كمحمد عبده، وأصالة، ورجاء بلمليح، وراشد الماجد وغيرهم، وعارف نفسه ذو صوت غنائي حلو، وإلقاؤه جيد ومطرب للسمع، وهذا الإلقاء يضفي على أشعاره رونقاً وجمالاً وزينة، كما قال الفرزدق لأحد الشعراء بعد أن سمع إنشاده "إنشادك يزيّن الشعر في فهمي".

ونستمع إلى ترنيمة خليجية جميلة من شعر عارف:

خليج من النور يمضي إلى القلب

والقلب يمضي إليهِ

خـليج تمكـن مــن خفقــة الــروح

منـذ عرفــت التهــجي

ومنـــــذ التفـــــت إلـــى الأرض

والأرض عمـــــــــري

وتعلمت كيف يطير الحمام بهذا الوجود

لينشـر حـــب الخـــليج

وكيف النسائم تسري بكل البيوت

محمّلـة بأريــج الخليـج

وكيف المسافــات تقــرأ فجــراً

كتـــــاب الخـــــليج

خليــج الأحــبة يــا أيهــا المتوهج

بالأنقيـــــــــــــاء

ويـا أيهـــا المتألــق بيـــن الدعــاء

وبيـــــــن الغنـــــاء

أحبـك أنشــودة في دمي ساهرة

أحبك نخلاً وموجاً وصحباً

وأسئلة في الهوى عاطرة

ولعـارف الخاجـة شـعر غزلـي رقيـق مبثـوث فـي الدواويـن التي أصدرها، وهـو ذو بـاع طويـل ومتمكّـن في قـرض كل أنـواع الشـعر الكلاسـيكي والحديـث، بنوعيـه التفعيلـي والنثـري، ولـم أقـرأ لشـاعر فـي الإمـارات يسـتطيع أن يجـاري عـارف الخاجـة فـي الجمـع بيـن أنـواع الشـعر، وبجـودة فائقـة.

وكان الشاعر مبارك العقيلي يقرض الشعر وينشده غنائياً، ولا أعرف إن كان هناك من غنّى شعر العقيلي غير المطرب الإماراتي محمـد بـن عبدالسـلام، فـي الخمسـينيات مـن القـرن المنصـرم.. وكمـا قلـت، فـإنَّ محمـد بـن عبدالسـلام غنّـى أغنيتيـن للعقيلـي اشـتهرتا فـي وقتهمـا، إحداهمـا كانـت بالشـعر الفصيـح والأخـرى بالنبطـي، وقـد ذكرنـا أغنيتـه المطربـة التـي مطلعهـا:

قـلب الشجـي المدلّــه

مـن ذا على الحب دلّـه

* وفيما يلي نأتي على ذكر الأغنية الثانية التي غنّاها من كلمات العقيلي بالشعر النبطي.. بعنوان "لو زاد جور الحبيب":

هـاجت عـلي الشـجون

والقلب شب اللظى به

مـن زود جـور الحـبيب

***

بلـوى الهـوى ما تهـون

والمبتـــلي، وا عذابــه

والحـب فعـله عجـيب

***

العشـق ريـب المنــون

يـا مـن جرحـني عتابــه

عــليك ربــي رقـــيب

***

والنــاس لــو يعلمـون

ما صار، ما حد، رضى به

تجـفى المحب الكـئيب

***

أجـريت منـــه العـيون

مثل المطر من سحابه

بالخـد، يجـري، صبيب

***

يـا ليت قـلبي فطــون

ما كان قـر الهـوى بـه

من قبل يبدي المشيب

***

لكــن بــدا بــي جنــون

يهـواك قلـبي، غـدا بـه

مـا أقـدر أنـا لـه مجـيب

***

راحــت علـي السنــون

وأنـا معـك فـي طلابـه

والنفـس عيّت تطـيب

***

ظنيت وصــلك يكـون

عقب التعب والشقا به

وعـرفت مـالي نصـيب

***

وسهـرت أبـدع فـنون

والحـال مـا حـدٍ درا بـه

والقـلب فـيه اللهـيب

***

حاشــا عليّــه، أخــون

يـا مـن طغى في شبابه

لــو زاد جــور الحــبيب

***

عارف الخاجة

ولعـلَّ القـارئ الكريـم يلحـظ أنَّ العقيلـي كان يقـول شـعراً فصيحـاً أو قريبـاً جـداً مـن الفصحـى، عندمـا كان ينظـم بالنبطـي، ومـن يقـرأ للعقيلـي شـعره النبطـي يجـد أنَّ شـعره قريـب الشـبه تمامـاً بشـعره الفصيـح، ويسـتطيع أن يقـرأه أو يفهمـه أي عربـي أو مسـتعرب.. يقـرأ الشـعر الفصيـح، وليـس أدل علـى مصـداق هـذا القـول مـن هـذه القصيـدة الغنائيـة الجميلـة التي أتينـا على ذكرهـا.. ويقـول الدكتـور أحمـد أميـن المدنـي عـن شـعر العقيلـي النبطـي: "يمتـاز العقيلـي عـن غيـره بـأنَّ معظـم المفـردات المسـتعملة فصيحـة وفنيـة رقيقـة ومنتقـاة، فهـو بهـذا يصـح أن يعـد أول المجدديـن فـي الشـعر النبطـي فـي الإمـارات".

وكان الدكتـور أحمـد أميـن، رحمـه اللـه، ممَّـن ينظـم وينشـد الشـعر بطريقـة جيـدة، وكان صاحـب صـوت رخيـم، وكان يشـدُّ الآذان عندمـا كان يلقـي قصائـده، وكان إلقـاؤه غنائيـاً جميـلاً، وأذكـر أنـه ألقـى قصيـدة فـي حفلـة مـن حفـلات نـدوة الثقافـة والعلـوم، مدحـاً فـي صاحـب السـمو الشـيخ محمـد بـن راشـد آل مكتـوم، نائـب رئيـس الدولـة رئيـس مجلـس الـوزراء حاكـم دبـي، رعـاه اللـه، مطلعهـا:

تلفـت المجـد يحـدو ركبـه الأمـل

عـلى أشعتـه ضاءت بنا السبـلُ

نشوان من خمرة الأمجاد منتهجاً

بالرائعـات مـن التكـريم يشتمـل

فأطـرب السـامعين بشـعره وإنشـاده علـى السـواء، ولا أعـرف إن كان أحـد مـن المطربيـن أو المغنيـن غنّـى لأحمـد أميـن شـيئاً مـن قصائـده.

***كاتب من الإمارات**

الكتب العربية النادرة المطبوعة في أوروبا

دبي - خليل بري

أنور الحريري خلال المحاضرة

قال الباحث والكاتب البحريني أنور الحريري: إنَّ اهتمامي بموضوع الكتب العربية النادرة المطبوعة في أوروبا ينبع من كونها تؤكّد أنَّ حركة الطباعة في أوروبا، والتي ابتدأت منذ سبعة قرون ونيف، بالنسبة إلى تاريخنا وتراثنا العلمي والثقافي، خير شاهد على ما حققته هذه الطباعة من أثر كبير في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، واستدامة الجسور الثقافية والحضارية بين العرب وأوروبا، كما أنَّ تلك الكتب التي طبعت هناك، شاهدٌ حيٌّ على استمرار التواصل الثقافي، ولا بدَّ من استمرار تدفقها إلى دول العالم، كون هذا التواصل الثقافي بين الدول العربية والإسلامية مع شعوب الأرض، يخدم مصالحنا المشتركة.

وقال الحريري في أمسية نوعية نظَّمها مركز جمال بن حويرب للدراسات، بحضور كوكبة من المثقفين والإعلاميين والباحثين: إنَّ تجميع وتصنيف الكتب العربية التي طُبِعَت في أوروبا، يسهم في خدمة الباحثين والمهتمين بالثقافة والعلوم، وفي فتح مجالات التعاون مع الدول الأخرى، عبر منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية (اليونيسكو).

أدار الجلسة الصحافي والشاعر حسين درويش الذي عرّف بالمحاضر، وتحدَّث عن بدايات الطباعة العربية في أوروبا، وعرّج على دخول المطبعة إلى البلاد العربية عن طريق رجال الدين المسيحي في حلب.

ابتدأت الأمسية برسالة وجّهها رئيس المركز، المستشار والباحث جمال بن حويرب، رحّب فيها بالمحاضر والحضور.

البدايات الأولى

قال الحريري: إنَّ الطباعة بالحروف المتحركة التي نعرفها اليوم، والتي ابتدأت في العام 1445م، يعود الفضل فيها إلى الألماني جوتنبرج الذي كان يعمل حداداً، وموّله صديقه موهان، وقام بطباعة الإنجيل ما بين 1452 - 1454م.

ويعدُّ الألمان هم أوَّلُ من طبع بالحرف العربي، كتاب أول رحلة إلى القدس طبعت بالحرف العربي سنة 1468م، وعن طريق ألمانيا دخلت الطباعة إلى إيطاليا عام 1469م، وشكَّلت البندقية بشكل خاص مركزاً للطباعة وللثقافة وتجارة المخطوطات في العالم في تلك الحقبة. ويمكن القول من شواهد المنشورات إنَّ الغالبية من الكتب العربية التي طُبِعَت في إيطاليا أخذت ثلاثة اتجاهات:

أنور الحريري:
حركة الطباعة في أوروبا حافظت على التراث العربي

تجميع وتصنيف الكتب العربية التي طُبِعَت في أوروبا يخدم الباحثين والمهتمين بالثقافة والعلوم

- كتب ذات صبغة دينية موجَّهة إلى الجاليات المسيحية العربية المرتبطة بالكنيسة الرومانية مثل: «الأوقات السبعة القانونية للصلاة»، و«الشعائر المسيحية».
- كتب تولَّت الكنيسة الكاثوليكية طباعتها وتوزيعها في المشرق العربي، من أجل بسط نفوذها، وإخضاع الكنائس الشرقية لسيطرتها، مثل «اعتقاد الأمانة الأرثوذكسية وكنيسة روما».
- كتب لغوية ترجمت من العربية لدعم حركة التنصير، مثل كتاب «الأجرومية» الذي ترجمه إلى اللاتينية المستشرق الإيطالي ريموندي، ونشره عام 1592م.

انتشار المطابع

وأضاف المحاضر: في فرنسا كان المسلك الذي تبنَّته مؤسَّساتها الحكومية يتجه نحو تعليم الرهبان والقساوسة اللغة العربية، لذلك فقد تكفّلت «مميز» (المطبعة الملكية في باريس) بنشر كتاب «في صناعة النحو» عام 1613م، وكتاب «الفلاسفة العرب»؛ وممّا يبرهن على ذلك المسلك التنصيري بعموميته أنَّ أوَّلَ كتاب عربي طُبِعَ في فرنسا هو «القواعد العربية» عام 1538م.

ولم تبعد إسبانيا عن إيطاليا، حيث إنَّ أوَّلَ دخول للطباعة إليها كان على يد المهاجرين الألمان، إلا أنها أحرزت الأسبقية في طباعة الكتب العربية؛ نتيجة تأثرها بالثقافة الإسلامية العربية على مدى ثمانية قرون، فكان كتاب «فن تعلُّم اللغة العربية بسهولة» أوَّلَ كتابٍ يُطْبَعُ في غرناطة عام 1505م.

أمّا هولندا فقد كانت الطباعة العربية فيها متأخرة عن غيرها من دول أوروبا، وكانت أكبر ثلاث مطابع فيها موجودة في أوترشت وأمستردام وليدن. وفي المدينة الأخيرة (ليدن) شكَّلت جامعتها عام 1575م لجنة لدراسة العربية والعبرية، ونشر آثار هاتين اللغتين.

مطبعتان

وفي بريطانيا كانت أشهر مطبعتين بالأحرف العربية فيها هما: مطبعة «أكسفورد»، و «مطبعة لندن»، وكان اسم إدوارد بوكوك من أبرز الأسماء التي ظهرت في مجال النشر العربي، من خلال تأليفه كتاب «نظم الجوهر» بالتعاون مع المستعرب

مجموعة من الكتب العربية النادرة

سلديتي، وتحقيقه كتاب «تاريخ مختصر الدول» لابن العبري في 1663م، ونشره نصاً تاريخياً لابن العبري بعنوان: «ألمع من أخبار العرب». ومع كلِّ ما ذُكِرَ يبقى «قاموس اللغات الشرقية» الذي طُبِعَ في عام 1669م، وحوى سبع لغات، أهمّ ما أسهم به البريطانيون في هذا المجال.

وظهرت أوَّلُ طبعة للقرآن الكريم في مطبعة بمدينة البندقية، وصدرت عام 1537، وقام بطباعة المصحف باغانينو دي باغانينو وابنه ألسندرو وهما مطبعيان أصيلان، وقد أقدمت هذه العائلة على طباعة المصحف؛ لأنها كانت على علاقات تجارية مع المدن العربية والتركية حول البحر المتوسط، وتحديداً في صناعة وترويج الورق، وأرادت أن

«قاموس اللغات الشرقية» الذي طُبِعَ في عام 1669م وحوى سبع لغات أهم ما أسهم به البريطانيون في هذا المجال

تجد لها سوقاً رائجة، وكانت تلك مجازفة كبرى نظراً للجوّ المشحون بالصراعات بين المسلمين والمسيحيين.

كتب تعليمية

ومن حيث الموضوعات كان ثلثُ هذه الكتب يتعلّق بالنحو وتعليم اللغة العربية، وثلثٌ يتناول الدين، خاصة العقيدة المسيحية بما فيها النصوص المقدسة، ونصوص في الدفاع عن المسيحية، وكتب الطقوس والصلوات، أمّا بقية الكتب فتناولت المعارف الإنسانية المختلفة من طب وفلك ورياضيات وفلسفة وعلوم، فضلاً عن التاريخ والجغرافيا. وغلب الطابع الديني والجدلي على المطبوعات الإيطالية والفرنسية، وبدرجة أقل الكتب الألمانية والهولندية والإنجليزية.

وأضاف المحاضر: لقد أسهم الكتاب العربي المطبوع في أوروبا، في التعريف ببعض المؤلفات للعلماء المسلمين في الأوساط الجامعية والأكاديمية الأوروبية، وأدّى إلى الاهتمام بالتراث الإسلامي كله فيما بعد، لكن هناك من يرى أنَّ الطباعة العربية الأوروبية لعبت دوراً في تغذية الصراع والجدل بين الكاثوليك والمذاهب المسيحية الأخرى بالشرق.

عربياً وإسلامياً

واستطرد الحريري: لم يكن العالم الإسلامي غائباً عن تطوُّر الطباعة في بلاد أوروبا، حيث واكب المسلمون التحوُّلات التي عرفها فن الطباعة منذ استخدام الألواح الخشبية، حتى اختراع الطباعة بالأحرف المنفصلة، وظهور مطبعة جوتنبرج، وجرت بعض المحاولات المبكرة لإدخال المطبعة إلى مصر مع نابليون عام 1798، ونشرت مطبعة نابليون عدداً من الكتب العربية. وذكر الجبرتي أنهم طبعوا بها نصَّ محاكمة سليمان الحلبي، ولكن هذه المطبعة خرجت ثانية مع عودة الحملة عام 1801، إلى أن جاء محمد علي، وفكَّر في تأسيس مطبعة عربية، فكانت مطبعة بولاق التي فكَّر في إنشائها عام 1815، وتأسَّست بالفعل عام 1820، واعتبرت المطبعة العربية الأولى؛ لأنها نشرت كتباً في مختلف التخصصات، وكانت موجَّهة للطلاب وللجمهور العادي، ولا تزال هذه المطبعة قائمة إلى اليوم، وتحمل اسم المطبعة الأميرية.
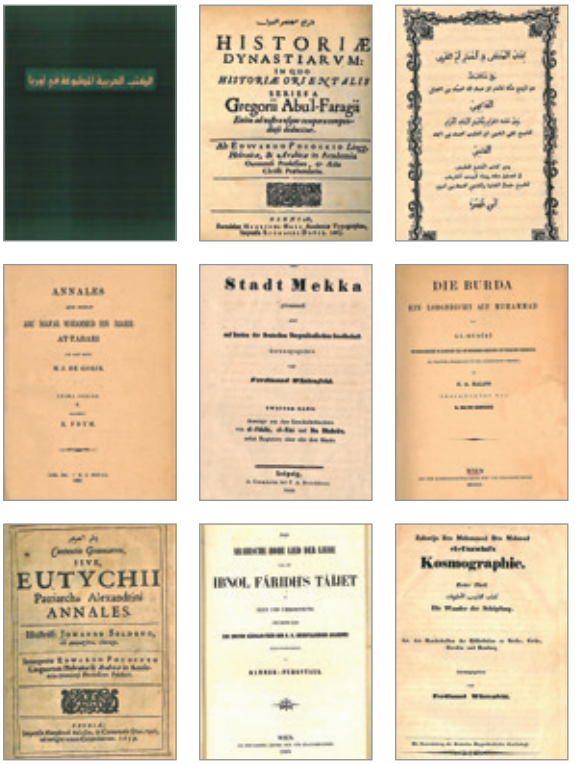
مجموعة من الكتب العربية النادرة

وفي إيران والمغرب، لا تتوافر تفاصيل كافية عن محاولة المغرب، ولكن المتصور أنه بسبب القرب الشديد بين المغرب وإسبانيا، ووجود كتب عربية للتنصير في إسبانيا، كان لا بدَّ من الانتباه ومحاولة الأخذ بتلك التقنية.

لكن محاولة إيران كانت في مدينة أصفهان، وذكر الرحّالة الفرنسي آن شاردين أنَّ العلماء المسلمين قدَّموا اقتراحاً بإدخال المطبعة في أصفهان إلى الشاه عباس الثاني (1624 - 1666) واستحسن الفكرة وبدأ بتنفيذها، لكن المشروع توقف، ولم يكتمل، بل مات تماماً، حين انتقل الشاه عباس إلى رحاب الله، وانتقلت السلطة إلى ابنه صافي سليمان الذي أهمل المشروع، ولم يعره أي اهتمام.

وأضاف الحريري: في حيدر آباد بالهند هناك «المطبعة العثمانية»، وقد نجح الإيرانيون في أخذ كل مطبوعاتها،

شهاب غانم:
ينبغي القيام بمسح شامل عن المخطوطات العربية في روسيا والصين واليابان والهند وإيران

وأنشؤوا «مكتبة شمس»، ونسبوا مطبوعاتها إليهم.

صفات الكتب النادرة

وقال المحاضر: من المهم أن ندرك أنَّ الكتاب العربي المطبوع في أوروبا، أو في الدول الأخرى له مواصفات، مثله مثل الكتب الأخرى المهمة، ويمكن تحديد هذه المواصفات بالآتي:

1. الندرة، من حيث تاريخ طباعة الكتاب. في أمريكا، مثلاً، يعدُّ الكتاب نادراً إذا كان مطبوعاً قبل العقد الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وفي إنجلترا، إذا كان مطبوعاً في منتصف القرن السابع عشر.
2. عدد النسخ المطبوعة، إذا كان مطبوعاً لأول مرة بأعداد محدودة جداً «من نسخة واحدة إلى 300 نسخة».
3. شكل الكتاب، إذ يعدُّ نادراً إذا كان مطبوعاً على نوع قديم من الورق، كورق البردي، أو جلد الغزال «الرق»، أو إذا كان مجلداً تجليداً غريباً، أو مطبوعاً بأحجام تختلف عن الأحجام المعتادة مع قلة النسخ.
4. شكل الخط أو الطريقة التي كتب بها، إذ يعدُّ نادراً إذا كان يحتوي على صور ورسومات وخرائط قديمة أو نادرة.
5. التقادم، وتعني الأسبقية في تاريخ الطباعة والنشر.
6. التميُّز والفرادة، ويشمل ذلك قلة النظر للكتاب ذاته،

أنور الحريري يتوسط شخصيات ثقافية وفكرية

أو من النسخ المتاحة أو الطبعات المتوافرة.

وفي ختام الجلسة دارت حوارات عدة، شارك فيها كلٌّ من الدكتورة رفيعة غباش، د. شهاب غانم، رشاد بوخش، علي عبيد، راشد بن هاشم، أحمد ناصر ونادر مكانسي.

وقد أبدى د. شهاب غانم رأيه بضرورة قيام مسح شامل عن المخطوطات العربية في روسيا والصين واليابان والهند وإيران .

ثمَّ قام الأديب والباحث بلال البدور بتقديم درع المركز للمحاضر أنور الحريري، نيابة عن المستشار والباحث جمال بن حويرب، رئيس المركز.

أنور الحريري في سطور:

الباحث أنور منصور غانم الحريري، من مواليد 1963، يحمل شهادة بكالوريوس إعلام وسياسة من جامعة الإمارات في العين، متقاعد من المجلس الأعلى للبيئة في البحرين، وعمل مستشاراً للتنسيق والمتابعة في مكتب الرئيس الأعلى للبيئة، ومديراً لإدارة الثروة السمكية، ومدير إدارة البرامج الاجتماعية في المحافظة الجنوبية، رئيس العلاقات العامة في الهيئة العامة للحياة الفطرية، واختصاصي علاقات عامة في وزارة الداخلية البحرينية.

رحلة إلى سورات 1689
مدينة مسقط في بلاد العرب السعيدة
جون أوفينغتون

قام القس البريطاني جون أوفينغتون عام 1689 برحلة إلى الهند، أودع وصفها في كتاب أسماه "رحلة إلى سورات"، وقد خصَّص جزءاً من كتابه لوصف "مسقط وسكانها في بلاد العرب السعيدة عُمان"، وضمّنه أيضاً وصفًا لمدينة "المخا" الساحلية في اليمن ومدن ساحلية أخرى مطلة على البحر الأحمر.

صورة تاريخية لمسقط القديمة

بلاد سعيدة

مسقط مدينة في بلاد العرب السعيدة، الواقعة إلى الشرق من تلك السلطنة، وتطل على الخليج العربي. وعلى الرغم من أنَّ أيّاً من أصقاع الجزيرة العربية لم يكن يتصف بالخصوبة التي تتصف بها مناطق أخرى في العالم أقل شهرة منها، فإنَّ هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية كان يتميّز بالعذوبة والخصوبة. ففضلاً عن وفرة عدد الماشية، تتصف تربة مسقط بالخصوبة، ويتمُّ فيها إنتاج الذرة والفاكهة والتوابل زكية الرائحة بكميات هائلة، كما تكثر فيها السلع المفيدة مثل العقاقير والبلسم والمر والبخور والسّنا والتمور والذهب واللبان واللؤلؤ، وتمارس التجارة الدائمة في السلع الثمينة النادرة مع بلاد فارس ومصر وسوريا وجزر الإنديز وغيرها. وعلاوة على موقع مسقط قرب مضيق هرمز، فإنها المركز التجاري الرئيس بين الشرق وذلك الجزء من بلاد العرب السعيدة، ففي فصل الصيف وحده، كان صيد اللؤلؤ بجزيرة البحرين الواقعة في أعالي الخليج يُكسب المكان مزيداً من الشهرة والأهمية. تقع مسقط مباشرة تحت مدار السرطان، وتحيط بها جبال صخرية شاهقة، ويحميها سور قوي، وهي محصنة بخمس أو ست قلاع وبالمدفعية، وتتميّز بموقعها المناسب للتجارة لقربها من مرفأ آمن.

يتصف معظم أهل مسقط بالقوام المعتدل النحيل، والبشرة شديدة السُّمرة، وطبقة الصوت غير القوية، ويتميزون بالقوة والرجولة، وبالمهارة في رماية القوس والسهم. وقد عُرفوا منذ حروبهم مع البرتغاليين بالبراعة في الرماية، وبالمهارة والجاهزية في استخدام الأسلحة النارية التي كانوا يقضون جانباً من النهار في التمرّن عليها.

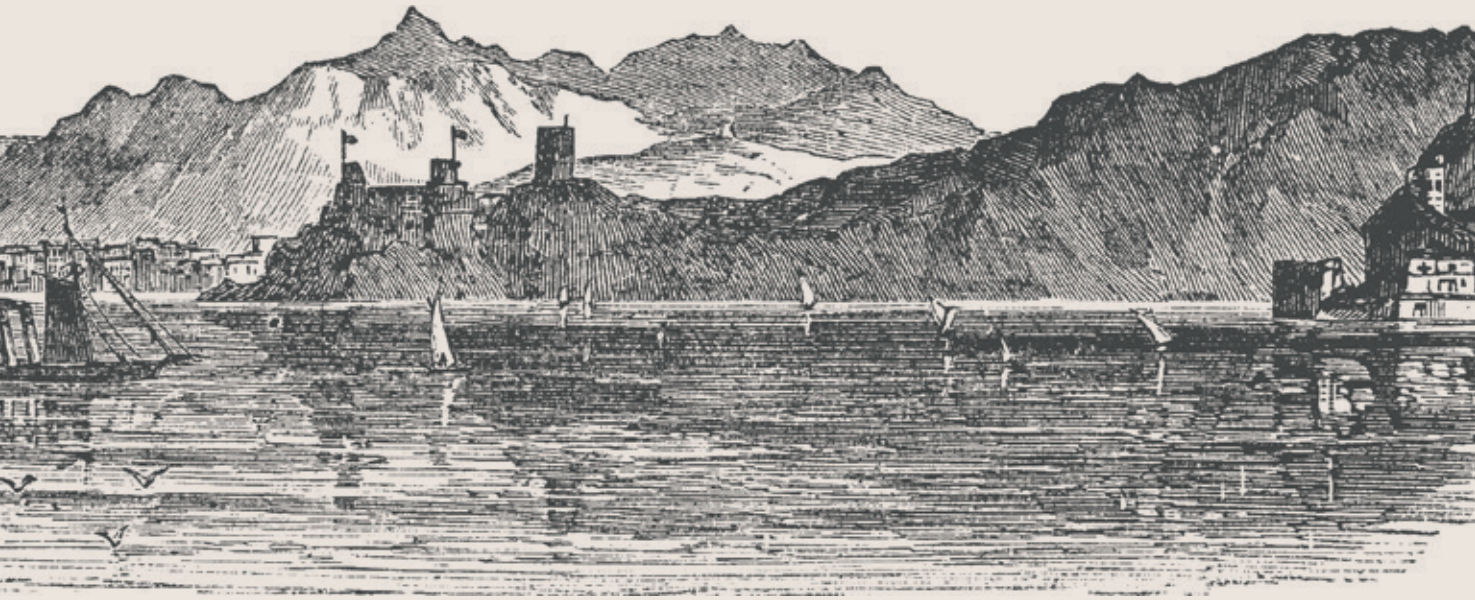

يتصف معظم أهل مسقط بالقوام المعتدل النحيل والبشرة شديدة السُّمرة، وطبقة الصوت غير القوية ويتميزون بالقوة والرجولة، والمهارة في رماية القوس والسهم

وصف الحياة

كانت الأرض تنتج لهم أنواعاً مختلفة من بديع الثمار، كالبرتقال والليمون والأترج والعنب والمشمش والخوخ ومعظم أنواع الخضراوات الجذرية والأعشاب الخضراء، لكن السلعة الأساسية في البلاد هي التمور التي كانت لها بساتين ممتلئة بها تمتد لمسافة أميال، وكانوا يمتلكون كميات وفيرة من هذه الثمرة التي كانت لها سوق رائجة في الهند، حيث كانت سفن عدة تبحر من هنا إلى هناك لا تحمل سوى التمور.

تتصف الجبال عموماً بأنها جافة وجرداء، ومن ينظر إليها يستنتج أنها لا تصلح للسكن، ولا تنتج القوت للإنسان أو الكلأ للحيوان؛ فالتربة تفتقر إلى الرطوبة، والأرض جافة كأنها صحراء قاحلة، حيث لا ينبت فيها عشب أو أزهار أو أشجار ذات أوراق أو ثمار، فإذا ما نزل المرء بنظره إلى الوديان وجدها خضراء مزهرة، تغطيها الخضرة الملائمة لمتعة الحيوانات وانتعاشها؛ إذ تعوّض هذه الوفرة والخصوبة في الوديان جَدب الجبال وجفافها.

جون أوفينغتون (1653-1731)

وُلِدَ جون أوفينغتون في قرية ميلسونبي قرب دارلنجتون في يوركشاير في أوائل العام 1653، والداه هما جيمس وماري أوفينغتون. كانت عائلة أوفينغتون عائلة محترمة من المزارعين، يرقد العديد من أبنائها في مقبرة كنيسة ميلسونبي، وعلى بعد بضعة أميال توجد قرية صغيرة تحمل اسم أوفينغتون.

درس جون أوفينغتون في مدرسة القواعد التابعة لأبرشية كيكربي رافينسورث. وفي 5 مايو عام 1671، عندما كان عمره خمسة عشر عاماً، تمَّ تسجيله كمستجد في كلية ترينيتي في دبلن، وربما كان له أقارب في دبلن، ولذلك ذهب إلى هناك. وفي عام 1675 أصبح طالباً وحصل على درجة البكالوريوس في العام نفسه، ثمَّ الماجستير بعد ثلاث سنوات. وبعد ذلك انخرط جون أوفينغتون وهو بسن 22 عاماً، في كلية سانت جورج، كامبريدج.

وفي 11 إبريل عام 1689، الذي يصادف يوم تنصيب الملك وليام الثالث ملكاً على إنجلترا، أبحر أوفينغتون من مدينة جريفسيند على متن السفينة «بنجامين» التابعة لشركة الهند الشرقية، حيث تمَّ تعيينه قساً على السفينة، وكان دارجاً في تلك الحقبة تعيين قس على كل سفينة سواء كانت تجارية أو حربية. أبحرت السفينة «بنجامين» من جريفسيند إلى ماديرا البرتغالية التي يصفها أوفينغتون وصفاً بديعاً، مروراً بمدينة ماليمبا على الساحل الإفريقي، وأخيراً جزيرة سانت هيلينا في المحيط الأطلسي. لتتابع شق عباب البحار قبالة سواحل مدغشقر، ثمَّ جزر القمر، لتصل أخيراً إلى بومباي بتاريخ 29 مايو عام 1689. أجبرت الظروف الجوية ركاب السفينة بمن فيهم أوفينغتون على البقاء في بومباي ثلاثة أشهر ونصف. وقد وصف أوفينغتون بومباي بأنها مدينة كئيبة، ومرتعاً للرذيلة والسكر والعربدة، لذا ما لبثت السفينة أن غادرتها في منتصف شهر سبتمبر متجهة إلى سورات لتغادرها متجهة إلى أخين ومضيق ملقا، غير أنَّ أوفينغتون بقي في سورات، حيث تولى مهام القس في المصنع الإنجليزي في سورات حتى عودة السفينة إلى سورات عام 1693.

من مفكرة «أخبار دبي»
راشد الذي عرفته.. الإعلام .. مسؤولية (٢)

الشيخ راشد بن سعيد والتصوير

حقيقة لايعرفها إلا قليلون، تتمثَّل في أنَّ إيقاف الشيخ راشد «أخبار دبي» وإصدار «البيان» محلها، جاء التزاماً بقرار مجلس الوزراء برئاسته، والذي يقضي بعدم منح أيّ تراخيص إعلامية جديدة في الدولة، وبذلك قد رسّخ، رحمه الله، قاعدة في الحكم مفادها أنَّ القانون ينبغي أن يسري على الجميع دونما تمييز.

بقلم: خليل البري

بعض الإعلاميين والصحافيين، ومعهم كثير من المهتمين والمتابعين، كانوا يعتقدون أنَّ المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيب الله ثراه، لا يحب الصحافة والصحافيين، ولا الإعلام والإعلاميين، ويستشهدون على ذلك بأنه، رحمه الله، لم يدلِ بأيِّ تصريحات لرجال الصحافة والإعلام، ولم يجرِ إلا ما ندر من مقابلات صحافية يتحدث فيها عن الشأن الداخلي، وكانت البلاد حينذاك "في سبعينيات وثمانينيات" القرن الماضي، أحوج ما تكون إلى تصريحاته، كونه نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، والشريك الأساسي للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، في تأسيس وقيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، التي راهنت بعض القوى الإقليمية والدولية على عدم استمراريته لفترة طويلة؛ بسبب عراقيل محلية وإقليمية، وتجارب عربية، وحدوية واتحادية، سابقة كان مآلها الفشل، بل الفشل الذريع، كمشروع الوحدة السورية – المصرية، في العام 1958، والتي تمَّ وأدها في العام 1961، أو مشروع الاتحاد الثلاثي، بين مصر وسوريا والعراق، الذي لم يبصر النور، وتمَّ دفنه قبل أن يولد، إضافة إلى تجارب اتحادية أخرى لم تكن سوى حبر على ورق!

وكوني عاصرت الشيخ راشد، رحمه الله، من خلال عملي كصحافي في مجلة «أخبار دبي» في الفترة من 1976 إلى 1980م، حيث تمَّ إغلاقها بقرار من سموه، لتصدر محلها جريدة «البيان» اليومية، أستطيع أن أقول بكل شفافية وتأكيد، إنَّ الشيخ راشد لم يكن أبداً كارهاً للإعلاميين والصحافيين، بل كان محباً لهم، ومقدراً جهودهم وساحة عملهم، وأستشهد بذلك على قرار سموه في العام 1975م، بتقديم الدعم المادي والمعنوي لكل صحيفة يومية تفتتح مكتباً لها في إمارة دبي التي كانت تفتقر إلى وجود جريدة يومية، حيث كانت كل الصحف اليومية «الاتحاد، الوحدة، الفجر، الوثبة وصوت الأمة» تصدر في إمارة أبوظبي. ولم يكن يوجد في دبي حينها سوى مجلة «أخبار دبي» الأسبوعية.

فلو كان الشيخ راشد لا يداني الصحافة والصحافيين، لما أقدم على هذه المبادرة الداعمة لصاحبة الجلالة ورجالها. ومن خلال هذه المبادرة جئت إلى دبي وتشرفت بمقابلة سموه ممثلاً لصحيفة الوحدة، ولأنتقل بعد نحو شهرين إلى العمل في «أخبار دبي»، ومن بعدها جريدة «البيان» وليستمر عملي في بلاط صاحبة الجلالة نحو 45 عاماً، كلها في دبي.

القانون فوق الجميع

ثانياً: عندما قرَّر الشيخ راشد، رحمه الله، أن يكون لدبي صحيفتها اليومية انطلاقاً من إدراكه بدور الإعلام وأهميته في قيادة المجتمع ومسيرة التنمية التي انطلقت بقوة، مستلهمة أفكاره النيرة ونظرته إلى المستقبل، وتلبية لحاجة ملحة محلياً وإقليمياً، ولتعبِّر عن الوجه الحقيقي للؤلؤة الخليج، الإمارة الحالمة الناهضة اقتصادياً وثقافياً وتعليمياً، أمر سموه بوقف صدور مجلة «أخبار دبي» وتحويل رخصتها إلى جريدة «البيان». علماً بأنه كان بإمكانه إعطاء الأمر بصدور هذه الجريدة اليومية مع الإبقاء على المجلة الأسبوعية، كونه نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، لكن هناك حقيقة لايعرفها إلا قليلون، تتمثَّل في أنَّ الشيخ راشد كان حريصاً على أن يكون قدوة للآخرين في تطبيق القانون والإحساس بالمسؤولية التي ينبغي أن يتمتّع بها كلُّ مسؤول، من خلال الالتزام بقرار لمجلس الوزراء برئاسته، والذي يقضي بعدم منح أيِّ تراخيص إعلامية جديدة في الدولة، وبذلك رسَّخ، رحمه الله، قاعدة في الحكم مفادها أنَّ القانون ينبغي أن يسري على الجميع دونما تمييز. والآن نرى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، يرسِّخ رؤى والده في الحكم والقيادة، من خلال البند الثاني من المبادئ الثمانية التي وضعها سموه لحكم هذه الإمارة، «لا أحد فوق القانون في دبي، ولا أستثني أحداً من الأسرة الحاكمة. ولا فرق بين مواطن ومقيم، أو غني وفقير أو ذكر وأنثى أو مسلم وغير مسلم في تطبيق القانون».

الشيخ راشد كان مولعاً بالقراءة ومتابعة ما تنشره الصحف اليومية

ثالثاً: الشيخ راشد، ومن خلال إيمانه بدور الصحافة والإعلام في المجتمع، وفي كشف السلبيات وأوجه القصور لدى بعض الدوائر والمؤسسات الخدمية، كان ،رحمه الله، يتابع شكاوى المواطنين، سواء بصورة مباشرة كالاستماع إليهم مواجهة، أو بما يرفعونه من خلال رسائل يوجهونها إلى ديوان سموه، أو بما تنشره الصحافة ووسائل الإعلام بصورة عامة، ومجلة «أخبار دبي» بخاصة.

وهنا أذكر أنَّ الزميل الراحل محمد نوراني، قد نشر في «أخبار دبي» تحقيقاً صحافياً تناول فيه رسوماً خدمية كانت تتقاضاها البلدية آنذاك، قدرها ألف درهم، لقاء تغسيل جثة المتوفى وإعدادها للدفن، وقال في التحقيق، «أما يكفي أهل الميت هماً ومعاناة لنزيدهم العبء بألف درهم قد لا يقدرون عليها في أحيان كثيرة؟!».

وعندما اطلع الشيخ راشد، رحمه الله، على هذا التحقيق أمر بإلغاء هذا القرار، وأن تتحمَّل البلدية كلَّ مصاريف الغسل لمن يتوفى في إمارة دبي، سواء كان مواطناً أو وافداً. ولا يزال الأمر سارياً حتى اليوم.

متابعة يومية

كان المرحوم ناصر بن راشد لوتاه، عضو المجلس الوطني الاتحادي، والمجلس البلدي في دبي، قد حدثني في سبعينيات القرن الماضي، بأنه كان يقوم ببناء بناية ضخمة "في عرف ذلك الوقت" على شارع الشيخ زايد، تقع مقابل برج خليفة حالياً. وأنه توقَّف لبضعة أشهر عن إتمام البناء لإدخال بعض التعديلات على تصاميم البناية، ويومها أشارت مجلة « أخبار دبي» إلى هذا التوقف الطارئ. وذات يوم وبينما هو جالس في مجلس الشيخ راشد، رحمه الله، أشار إليه هامساً، لماذا توقَّف العمل في بنايتك؟ هل تحتاج إلى مساعدة مالية أو دعم فني؟ قال ناصر: لقد بهت واستغربت، من أين

عرف الشيخ راشد هذا الأمر! فقلت له: يا طويل العمر العمل لم يتوقَّف، بل نحتاج إلى بعض التعديلات في التصاميم. فأصرَّ على أنَّ العمل متوقفٌ منذ بضعة أشهر، وأنه تابع الموضوع بنفسه، كما اطلع عليه من «أخبار دبي»!

وتدخل يومها مدير البلدية السيد/ كمال حمزة الحسن، لِيُطَمْئِنَ الشيخ راشد بأنَّ العمل في البناء سوف يُسْتَأْنَفُ قريباً.

حنكة وبعد نظر

أمّا لماذا كان الشيخ راشد لا يلتقي رجال الصحافة والإعلام إلا فيما ندر؟ فقد وجهت هذا السؤال إلى المرحوم ناصر بن صالح بن لوتاه، أحد مستشاري الشيخ راشد للأعمال الخيرية، فقال لي، لقد أمضيت مع الشيخ راشد أعواماً طويلة؛ فعرفته رجلَ عملٍ من الطراز الأول، كان، رحمه الله، يعمل في صمت وبسرية تامة فيما يتعلَّق بالأعمال الخيرية مثل حفر الآبار وبناء المساجد والمدارس والعيادات الطبية، سواء في المناطق النائية من الدولة أو في البلاد العربية والإسلامية في قارتي آسيا وإفريقيا، ولا يحب الإعلان عنها أو التحدث بها، امتثالاً للتعاليم الإسلامية.

ولعمري هنا يكمن السبب الرئيس في ابتعاد سموه عن الإدلاء بكثير من التصريحات، أو إجراء مزيد من المقابلات الصحافية والإعلامية؛ فهو لم يكن منعزلاً أو مبتعداً عن وسائل الإعلام، وإنما كان مقلاً في الأحاديث الصحافية، لكن عندما تقتضي الأمور الضرورية التصريح عنها فإنه يتحدث عنها بشفافية وإيمان. وأستدلُّ هنا يوم قرَّر بناء ميناء

الشيخ راشد والملكة إليزابيث لدى افتتاح المبنى الجديد لبلدية دبي خلال زيارتها للبلاد في العام 1979

جبل علي، على الرغم من معارضة العديد من مرافقيه، وسأله حينذاك صحافي أجنبي عن سبب اختياره هذه المنطقة الشاطئية من سواحل دبي الممتدة لعمل هذا المشروع الضخم؟ ولمّح الصحافي وقتها إلى إمكانية فشل هذا المشروع، لكن الشيخ راشد سايره وأخذه بحلمه، وردَّ عليه قائلاً: إنَّ إقامة هذا الميناء تأتي تماشياً مع خططنا لجعل هذا البلد مركزاً له شأنه في المجتمع العالمي، وتحويله من بلد يعتمد على التجارة فقط، إلى مركز يسهم في الصناعات العالمية المتطورة، ويسهل السبل أمام هذه الصناعات لتمضي قدماً في خدمة الإنسانية ومجالات الحياة المختلفة.

وقد أيَّد أفكار سموه وفدٌ تجاريٌّ ياباني زار دبي حينذاك، واطلع على منطقة جبل علي، وعلى أفكار الشيخ راشد بشأن إقامة الميناء، وكان رد رئيس الوفد: «إنَّ هذا المشروع سيكون الأنجح على مستوى المنطقة، بل وسيشكِّل أهمَّ مصادر الدخل لدبي ما بعد عصر النفط».

وقد كان سموه يتمتَّع بحنكة وبعد نظر قلَّ مثيلهما، وكان مؤمناً بدور الإعلام في مسيرة التطور والبناء، وبحرية الكلمة وتأثيرها في المجتمع، وخاصة إذا كانت هذه الكلمة صادقة وتنقل الوقائع بأمانة وشفافية. وأذكر في هذا المجال صحيفة كويتية كتبت كلاماً سلبياً مسَّ سموه شخصياً، وشكَّكت في الإنجازات الاقتصادية والعمرانية التي حقَّقتها دبي على يديه.

وحاول بعض المسؤولين، آنذاك، منع توزيعها في دبي، لكن أمر سموه جاء حازماً بعدم منعها، قائلاً: «إذا كان كلامهم صحيحاً فقد أصابوا، وإن كان ظلماً فالناس يعرفون من أنا».

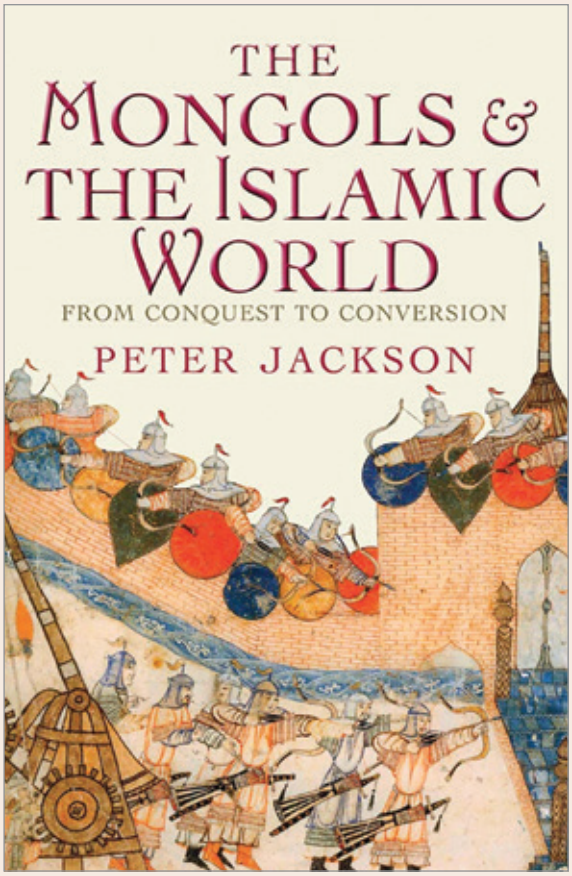

عنوان الكتاب: **المغول والعالم الإسلامي:**
من الغزو إلى اعتناق الإسلام

المؤلـــــف: بيتر جاكسون

تـاريخ النشـر: 23 مايو 2017

دار النشـــر: مطبعة جامعة ييل

يقدِّم هذا الكتاب نظرة تاريخية ملحمية حول غزو المغول لغرب آسيا وانتشار الإسلام خلال سنوات الحكم غير الإسلامي.

بدأ الغزو المغولي للعالم الإسلامي في أوائل القرن الثالث عشر، عندما اجتاح جنكيز خان ومحاربوه منطقة آسيا الوسطى ودمّروا معظم إيران.

يقدِّم المؤرخ المعروف بيتر جاكسون طرحاً جديداً مميزاً حول سنوات الحكم المغولي الكافر في غرب آسيا، ويستند جاكسون في كتابه هذا إلى مجموعة واسعة من المصادر الأساسية، إضافة إلى الدراسات الحديثة ليوضِّح كيف أنَّ الإسلام لم ينجُ من وحشية الغزو فحسب، بل إنه انتشر أيضاً في كافة أنحاء الإمبراطورية المغولية.

تمتاز هذه الدراسة الفريدة بأنها تغوص في تفاصيل أعمق ممّا وثَّقه التاريخ بشأن حملات ومجازر المغول المدمرة، لتستكشف بذلك جوانب مختلفة من حدث ضخم اجتاح الأراضي التي تشكِّل حالياً إيران والعراق وتركيا وأفغانستان، وكذلك آسيا الوسطى وأجزاء من أوروبا الشرقية. ويدرس بعمق التداعيات الثقافية لضمِّ الأراضي الإسلامية، وكذلك التجربة الإسلامية مع السيادة المغولية، وتحوُّل الفاتحين في نهاية المطاف إلى اعتناق الإسلام.

المؤلف في سطور:

بيتر جاكسون

هو أستاذ فخري لدراسات تاريخ العصور الوسطى في جامعة كيلي في بريطانيا، وله مؤلفات حول الحروب الصليبية، والعالم الإسلامي الشرقي، والمغول، ومن ضمن مؤلفاته كتاب بعنوان «المغول والغرب 1221-1410».

العلاقات السعودية والإماراتية ضاربة الجذور في التاريخ

قصيدة لمحين الشامسي في مدح الإمام فيصل بن تركي قالها قبل مئتي عام

سعد بن عبد الله الحافي*

ترتبط المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة بعلاقات متميزة، حيث تجمعهما روابط الدم والمصير الواحد والإرث الثقافي والعادات والتقاليد المشتركة، والتي تضرب بجذورها في عمق التاريخ والجغرافيا، وبين يدينا نص شعري للشاعر الإماراتي محين الشامسي يؤكد هذه العلاقة منذ عهد الدولتين السعوديتين الأولى والثانية.

النص:

طرق العلا لا تستخف بشانها
اعرف قبل تدبيرها ميشانها(1)

انظر بعين القلب فيها قبل ما
تنظر بعين الرأس في ميشانها

إن القلوب إذا عمين عن الهدى
ما تهتدي لطرق الرشاد أعيانها

وان أبصرت عين الفؤاد من العمى
شافت ووافق شوفها لعيانها

ومن لا يدبر في الأمور بفطنه
ويقايس القالات قبل إتيانها

تدابرت عنه الأمور وفتحت
عليه أبواب البلاء بيبانها

يا سامعٍ فالشعر بعضه حكمة
تفهم له العقال مع فطانها

إن كنت ذا مالٍ وصاحب ثروة
وتخشى على نعمتك من دبرانها

فأد واجبها وأظهر شكرها
وحدّث بها واعرف ترى نقصانها

فعل المعاصي والربا ثم الزنا
ومنع الزكاه إلى حضر ميحانها

وان كنت ذا مالٍ وصاحب دولة
وتخشى على منصبك من عدوانها

اعدل بملكك والشريعة قم بها
وانصف ضعيف الناس من شرفانها

فالله ما غيّر بعبدٍ نعمه
حتى تغيّرها القلوب ابرانها(2)

وإذا تكاثر الفساد بديره
وألفيت أهلها فاشي عصيانها

ارحل فأرض اللّه واسعة الفضا
ولا تهمك أهلها وجدرانها

(1) ميشانها: أي نيشانها من النيشان وهو الهدف وفي لهجتهم قديماً تقلب النون ميماً.
(2) ابرانها: أي فسادها.

قصيدة تثبت أن العلاقات السعودية الإماراتية تمتد جذورها لأكثر من مئتي عام

فلا فساد الدار من عتق البنا
إلا فساد الدار من سكانها

أقول ذا وأنا بعينٍ شايف
دنيا تشيب بمرها ولدانها

هلها غدت نجواتهم نياتهم
ومن أنسها قامت تعوذ جانها

شف كيف باروا بالمتوج فيصل
وجازوه بالسيَّات عن إحسانها

أعطى مصقلة السيوف وغيرها
من النضا والخيل مع تفقانها

وقاموا يهوشونه ببعض سلاحه
حرارها والجم من عبدانها

عساه يأخذ له بهذي عبره
ويميز الوافين من سرقانها

ويعرف من يرخص بعمره عنده
يوم الحقب في الحرب لز إبطانها

يا ليت ميزان الرجال شريعه
وكل العرب تعطى على ميزانها

دع ذا ويا غادي على عمليه
تطوي بعيدات القفار أقرانها

حرفٍ(3) مذكرةٍ أبوها خالها
وظبيان والجماح من عمانها

قصر إبراهيم بن سعود في الدرعية التاريخية

تروح كالخاطوف أن جذيتها
وإن جذتك شفت الزرم بإيمانها

ما فوقها كود الزهاب وراكب
حرٍ أمينٍ من خيار أذهانها

أقول له لما علا في كورها
وفكك حبال العقل من ذرعانها

أوقف قدر ساعه بكتب أسجله
فيها السلام ومدح فيصل زانها

واليا عرض لي من مرامي نيه
باريت لك من فوق كور اهجانها

عسى عقب يومين تلفى شيخنا
في حسن حال وبادٍ جذلانها

(3) حرف: عملة تسك قديماً ويضرب بها مَثَلٌ فيقال (فلان حرف ما يبور) وهنا يقصد ناقة أصيلة.

محين الشامسي عاصر الدولتين السعوديتين الأولى والثانية

وجدي على ذاك الشجاع وشوفه
حاتم زمانه في المروه والعطا

وتقبيل يمناً في الجدا صفطانها
وعنتر لحل الملزمات اعنانها

عساه ينظرني بعين مروفه
سمح المحيا باسمٍ متواضع

ويذكر لقدري يوم أنا بعمانها
تبّاع من جل الأمور اسمانها

يوم العقول الثابتات تراجع
لا فاحشٍ طبعه ولا متكبر

وطارت من حلوق الرجال اذهانها
ولا بجزلات العطا منانها

يوم السلالم في الجدار اتعلقت
حرٍ فرايسه الأسود إلى عدا

ترقى بها الوافين من جذعانها
قامت تخاصر جيفة عقبانها

يوم المتاقي والمواقي ربنا
وللجار من جساس اكبر غيره

بيعت عمارٍ والرصاص أثمانها
لي بارت الخياب في جيرانها

بذلت عمري والحلال اسخيت به
اللّه عسى من بار فيه يعاقب

حتى طفى اللّه بالسكون أفتانها
عقوبةٍ تلحق عليه أمحانها

شيخ يرى عدل الرعيه واجب
وللّه در النايبات لكنها

وفي الحق عنده واحدٍ ميزانها
تبدي صديق النفس من عدوانها

كل العباد إذا كشفت إغطاها
وخلاف ذا يامن عطاياه النضا

ألفيتها تدعي على سلطانها
والخيل والمضبوط من شيلانها

ما غير فيصل بوسعود وقومه
لك اشتكي جفواي عندك يا فتى

من حضر دنيانا ومن بدوانها
والنفس شرهتها على خلانها

تدعي له اللّه بالثبات أوهو لها
تركتني يا أبو مساعد في الحسا

يدعي بأن اللّه يصلح شانها
كسير رجلٍ كايدٍ جبرانها

شيخٍ لدين اللّه أصبح ناصر
ع اللّه رخصت في جهاد عدوه

وعليه كسر في الحروب اخزانها
وأرجي عسى ان الأجر في كسرانها

شيخٍ جزيل المال يرخص عنده
واليوم في بطن البلاد انسيتني

في الموجبات إلى تعاظم شانها
امشي على ما متن من عصيانها

الشاعر مدح الإمام فيصل بن تركي وكشف حقائق تاريخية

وشرواك ما ينسى الرفيق إلى هفا

ويسمع جواب الناس في صدقانها

وإذا بليت من الزمان بنكبه

اجعل صديقك مطرق لميدانها

اما لقيته لك صديقٍ ناصح

وإلا تبين صحبته وش خانها

ربعي هل العوجا فهم لك خزنه

ونفسٍ تعين الحق اللّه عانها

وخلاف ذا اسلم ودم في نعمه

محروسةٍ باللّه عن نقصانها

وعن نفع مثلي لا يطف نظيرك

ما ينفع المظيوم كود اخوانها

وان كان في خاطرك شيءٍ سامح

سامحك في يوم الملا ديَّانَها

أعزك اللّه في الحياة بنصره

وفي الآخرة تجزا نعيم أجنانها

ثم الصلاة على النبي محمد

الهاشمي المختار من عدنانها

الشاعر:

هو علي بن محمد بن محين الشامسي وشهرته (محين الشامسي) من أهل بلدة الحيرة التابعة لإمارة الشارقة، ولد في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، واختلفت المصادر في تاريخ وفاته؛ فذهب حمد أبوشهاب إلى أنه توفي نحو عام 1247هـ، وتذكر مصادر أخرى أنه توفي عام 1260هـ، ولكن بالنظر في هذه القصيدة فالأرجح عندي

الإمام عبد الله بن سعود

1260هـ، وفقاً لما يلي:

أن الإمام فيصل بن تركي، ممدوح الشاعر، تولى سدة الحكم عام 1250هـ، أي بعد التاريخ الذي حدده أبوشهاب. وأن الشاعر في قصيدته يشير إلى قصيدة الإمام فيصل بن تركي التي مطلعها:

الحمد لله جت على حسن الاوفاق

وتبدلت حال العسر بالتياسير

والإمام فيصل بن تركي قال هذه القصيدة في عام 1253هـ.

مناسبة القصيدة:

قال الشاعر محين الشامسي قصيدته ممتدحاً الإمام فيصل بن تركي (رحمه الله)، وفي أبيات القصيدة ما يوحي بتأثُّره بقصيدة الإمام فيصل التي قالها في انتصاره على الغزو العثماني، ويذكر فيها من خانوه والتي منها:

هبت هبوب النصر من سبع الأطباق

للدين عز ونقمة للخنازير

القصيدة قيلت في النصف الأخير من عام 1253هـ

امنولٍ نرســـل مكـــاتيب وأوراق

واليوم بأطراف الرماح السماهير

كما أنَّ الشاعر يبين حالته ووفاءه، حيث شارك مع جيوش الدولة السعودية في حروبها في عمان، وقد كسرت رجله وبقي في الأحساء، وقد ذكرت بعض المصادر تاريخ تدوين النص عام 1255هـ، ولكن الواقع التاريخي يثبت أنَّ الإمام فيصل بن تركي كان بين عام 1254هـ ومنتصف عام 1259هـ، في مصر، وبالتالي القصيدة قيلت في النصف الأخير من عام 1253هـ.

دراسة النص:

تعدُّ القصيدة من المطولات، ويبلغ عدد أبياتها 65 بيتاً، وقد بدأ الشاعر قصيدته ناصحاً بألا يتساهل أحد في إدراك المعالي، وأن يحسب حسابه جيداً، وينظر للأمور بعين العقل والبصيرة لا البصر، ومن عميت بصيرته لن يهتدي ببصره، ومن لا يكون حذراً فطناً في حساباته للأمور فستفتح عليه أبواب شر هو في غنى عنها، ويؤكد أن من الشعر حكمة يدركها العاقل، خاصة إذا كان صاحب ثروة يخشى عليها من الزوال، إذ يجب أن يؤدي ما عليه من زكاة وصدقة وأن يتجنب الربا والمعاصي، ثم ينصح كل أصحاب الملك الذين يخشون عليه من الضياع بأن يقيموا العدل ويأخذوا للضعيف حقه من الشريف، وأنه متى فشى الفساد في بلد فعلى الرجل أن يرحل عنها إلى غيرها، ففساد الديار ليس من إلا من أهلها، ويضرب مثالاً بمن تنكروا للإمام فيصل بن تركي وانحازوا إلى أعدائه وجزوا إحسانه بالسيئة، وقد وهبهم السيوف والخيل والهجن والسلاح، بل واستخدموا ذلك في حربه، وفي ذلك إشارة إلى قصيدة الإمام فيصل التي منها:

بلاي من قومٍ عليها الردى ساق

عقب الجمايل ضيعوا نية الخير

ماكولهم عندي عناقيد واشناق

ومشروبهم در البكار الخواوير

وملبوسهم من طيّب الجوخ ما لاق

ونفلتهم بمصقلاتٍ بواتير

وقصري لهم عن لافح البرد مشراق

وبالقيظ ظلٍ عن سموم الهواجير

ومركابهم عندي طويلات الاعناق

قبٍ اصايل مبهمات المسامير

ثم يتمنى أن يكون هناك ميزان للرجال يُقدر رجولتها، وينتقل بعدها إلى أمنية أخرى هي إركاب رسول على جمل نجيب أصيل يمتاز بالقوة وسرعة الجري، يُحَمِّلُه رسالة بقصيدة تتزين بمدح الإمام فيصل ويدعوه (شيخنا)، متمنياً أن يصل إليه في مدة يومين وهو في أحسن وأسعد حال، كما يتشوق الشاعر لمشاهدة الإمام فيصل واصفاً إياه بالشجاع، ويتمنى أن يُقَبِّلَ يده التي تعودت على البذل والعطاء، عسى أن يشمله برعايته، خاصة إذا عرفنا أنه كان كسيراً في الأحساء حسب ما جاء في أحد الأبيات، ومذكراً إياه بمواقفه في حروب الجيوش السعودية في عمان، وكيف أنه كان مع من يهجمون على أسوار الحصون بوساطة السلالم، ولا يخشون الرصاص، حتى تمكنوا من الانتصار وإخماد نار الفتنة، ثم يُبَيِّن أن فيصل يرى العدل واجباً في الرعية وميزانه في الحق واحد للجميع، ولو كشفنا عن أحوال الأمم لوجدناها تدعو على سلاطينها، إلا أن الرعية تحت حكم الإمام فيصل ومن معه من الحاضرة والبادية تدعو له بالثبات وأن يُصلح الله شأنه، فهو شيخ ناصر لدين الله باذل ومنفق للأموال في الجهاد، وهو حاتم هذا الزمن في المروءة والكرم، وهو عنترة في إقدامه، وهو سمح المحيا باسم متواضع ليس فاحشاً ولا متكبراً ولا يَمُنُّ بعد عطائه الوفير، وهو حر أبِيٌّ إذا غضب ففرائسه ملوك السباع، وهو أشد غيرة من جساس على جيرانه عندما يتخلى عنهم حثالة الناس، ثم إن الشاعر يدعو بالبلاء على كل من تخلى عن الإمام فيصل، وهنا ما يمكن أن يؤخذ كدلالة على أن القصيدة جاءت نتيجة تأثر الشاعر بقصيدة الإمام فيصل، ولكنها مختلفة في البحر والقافية.

دلالات من النص:

1- كانت تربط الشاعر بالدولة السعودية الأولى والثانية علاقة ولاء ففي أحد أبيات هذه القصيدة يقول:

ربعي هل العوجا فهم لك خزنه

ونفسٍ تعين الحق اللّه عانها

كما نجده في قصيدة أخرى يذكر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز:

وإمّا غدا لي من محب عزيزي

سعود مات ومات عبدالعزيز

غيبت كني جاهل ضاع زيزي

مدامعي تجري على صفح لوجان

2- احتفاء الشاعر الإماراتي محين بانتصار الإمام فيصل بن تركي في المواجهة الحربية مع الغزو العثماني ومن يواليهم من الخونة الذين أحسن إليهم:

شف كيف باروا بالمتوج فيصل

وجازوه بالسيَّات عن إحسانها

أعطى مصقلة السيوف وغيرها

من النضا والخيل مع تفقانها

وقاموا يهوشونه ببعض اسلاحه

حرارها والجم من عبدانها

إلى قوله:

اللّه عسى من بار فيه يعاقب

عقوبةٍ تلحق عليه أمحانها

3- اتفاق المصادر الشعرية على أنَّ أصل إبل السباق

من أطلال الدرعية

الأصيلة من منطقة الظفرة ومن سلالة الفحل "ظبيان"، تأكيداً لما ذكره راشد الخلاوي منذ أكثر من ستمئة عام في قول الشاعر محين:

حرفٍ مذكرةٍ أبوها خالها

وظبيان والجماح من عمانها

وكذلك في الإشارة الضمنية في قصيدة الإمام فيصل بن تركي:

وخلاف ذا يا راكبٍ فوق سباق

هميلعٍ مرباه دار المناصير

* **رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودية**
عضو اللجنة الثقافية ورئيس لجنة الأدب الشعبي بمهرجان الجنادرية

صور قديمة نادرة من المملكة العربية السعودية

** الصلاة حول الكعبة المشرفة، عام 1307هـ/ 1889م.

** باب السلام الواقع في الجهة الغربية من المسجد النبوي، عام 1321هـ/1903م.

** ساحة الصفاة بالرياض، وهي مزدحمة بالناس بعد صلاة الجمعة عام 1355هـ/ 1936م.

** افتتاح محطة تبوك، إحدى المحطات الرئيسة لخط سكة حديد الحجاز عام 1322هـ/ 1908م.

** بيت البغدادي، أحد مباني جدة الرفيعة وقد أصبح مكتباً لشركة النفط الأمريكية صاحبة الامتياز منذ عام 1352هـ/ 1933م.

** جزء من سور المدينة الذي كان يحيط بها إلى وقت قريب، عام 1325هـ/1907م.

** الميدان الرئيس وسط حائل 1333هـ/ 1914م.

Abu Dhabi, may God rest his soul in peace (1833-1845), and his son, Sheikh Sultan, Ruler of Abu Dhabi, may God rest his soul in peace (1922-1926). Poetry had been inherent in Al Nahyan since their old generations. Therefore, it is no wonder if Sheikh Zayed wrote poetry, though we could find only this manuscript, in which he said:

Greetings to the letter which I have received and to its sender.
As much as the raining clouds and the northern wind.
I opened its seal and grasped its content,
In the beautiful horse I found all nice traits.
As soon as Shweiman arrived, I looked at it,
It is thankfully accepted from the Sheikh who presented it to me.
These are noble habits of Hamad, who is known for his generosity;
May God keep him safe from all evils.
Your status is fine and your generosity is plenteous.

It is well-known that Bani Yas and their sheikhs were keepers of horses from ancient times. They were often applauded for purebred horses. The late Sheikh Zayed, may God rest his soul in peace, used to acquire a lot of horses. The German Traveler Hermann Burchardt, who visited Abu Dhabi in 1904, described the horses of Sheikh Zayed and took photos of them. He mentioned in his notes that the Shareef of Makkah, Aun, presented to Sheikh Zayed the First a mare which was mentioned by the poet, Mubarak Al Okaili, in a poem which praised Sheikh Zayed the First when he visited him together with his son, Sheikh Hamdan bin Zayed.

Presents came to Sheikh Zayed from everywhere because he won the respect of all neighboring countries at that time. This horse was not the only gift from the Sheikhs of Bahrain. The British documents mentioned that Sheikh Issa bin Khalifa, father of Sheikh Hamad, presented to Sheikh Zayed two horses which were received by his son Sheikh Khalifa bin Zayed the First in 1880-1881, for Sheikh Zayed was then in Hijaz performing the rites of Hajj.

Sheikh Hamad bin Issa Al Khalifa

Salem Al Seyabi, in his book ***"Relief of the Elite"***, said about the tribe of Bani Yas: They are surrounded by many tribes, and Bani Yas constitutes their heart. They are horsemen and people of honor.

*A UAE Historian

Sheikh Hamad bin Issa Presented it to Sheikh Zayed the First

"Shweiman": A Horse That Strengthens the Ties of Love between Hearts

Jamal Bin Huwaireb*

Poetry is the journal of Arabs, which contained a lot of their news and stories that were not recorded in the books of historians. Researchers benefited from poetry in recording events which they missed in historical volumes, especially the history of Arabia, which has not been recorded or documented for centuries.

Had it not been for the memorized poetry that was passed by narrators from one generation to another or preserved in manuscripts of verse anthologies or collections, our history would have been episodes lost in a barren desert. If poetry had only the advantage of recording these events, we should take care of it, revise it and bring it out from the sheets of manuscripts to the world of modern printing for scholars and researchers to benefit from it. Today we have before us a wonderful literary text that has been found in an old manuscript from the sisterly Kingdom of Bahrain. It dates back to 1911 AD. It was presented to us by Mubarak Al Ammari Al Dosari. The manuscript comprises a collection of poems that were written as suggested by the late Abdullah bin Jabr Al Dosari, who was working with Sheikh Hamad bin Issa bin Ali Al Khalifa, Ruler of Bahrain, may God rest his soul in peace, when he was a crown prince.

Al Ammari has asserted to us that these poems, contained in a volume titled ***"The Diwan of the Nobility in Praise of People of Virtues and Noble Traits"***, was collected by the Poet Mubarak bin Mas'oud, who was working for Sheikh Hamad bin Issa. It is mentioned in the manuscript that Sheikh Hamad bin Issa bin Ali Al Khalifa, who was then the Crown Prince, presented a horse named 'Shweiman' to Sheikh Zayed bin Khalifa Al Nahyan, Ruler of Abu Dhabi (1855-1909) and sent with it lines of poetry that indicated the depth of brotherly relations between the two countries. The lines refer to the presented horse and praise Sheikh Zayed bin Khalifa Al Nahyan:

Sheikh Zayed the First

The dancing horse is presented to the man it loves,
O Sheikh, protector of the land.
We have no one to present this valuable horse
Except to you, the man of sublime traits and deeds.

Sheikh Zayed, may God rest his soul in peace, replied with lines of poetry that were as eloquent as those he received. Before this manuscript, we had not seen any poem that was attributed to Sheikh Zayed, though there were notable poets in the tribe of Al Nahyan, like his father Sheikh Khalifa bin Shakhbout Al Nahyan, Ruler of

Book Title: **The Mongols and the Islamic World:**
From Conquest to Conversion
Author: Peter Jackson
Published: May 23, 2017
Publisher: Yale University Press

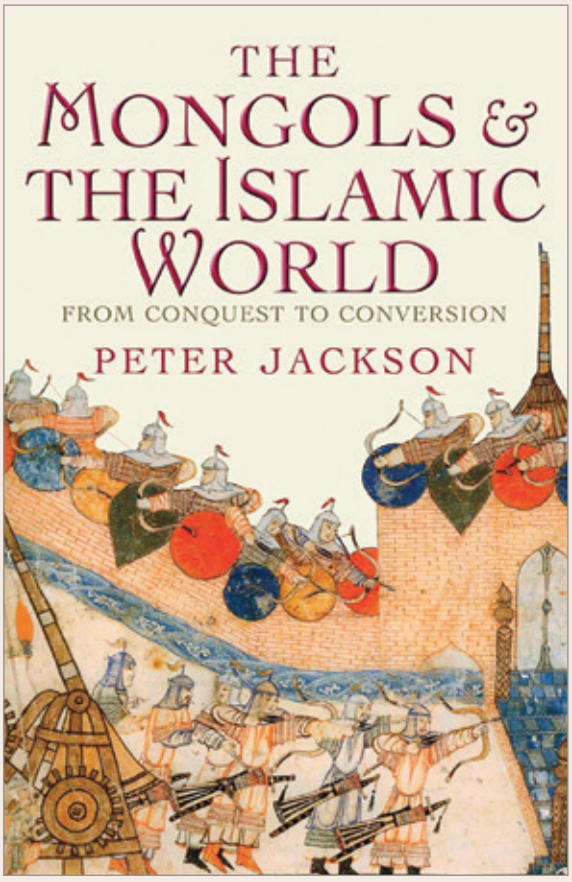

An epic historical consideration of the Mongol conquest of Western Asia and the spread of Islam during the years of non-Muslim rule.

The Mongol conquest of the Islamic world began in the early thirteenth century when Genghis Khan and his warriors overran Central Asia and devastated much of Iran. Distinguished historian Peter Jackson offers a fresh and fascinating consideration of the years of infidel Mongol rule in Western Asia, drawing from an impressive array of primary sources as well as modern studies to demonstrate how Islam not only survived the savagery of the conquest, but spread throughout the empire.

This unmatched study goes beyond the well-documented Mongol campaigns of massacre and devastation to explore different aspects of an immense imperial event that encompassed what is now Iran, Iraq, Turkey, and Afghanistan, as well as Central Asia and parts of Eastern Europe. It examines in depth the cultural consequences for the incorporated Islamic lands, the Muslim experience of Mongol sovereignty, and the conquerors' eventual conversion to Islam.

About the Author

Peter Jackson

is emeritus professor of medieval history at Keele University and has written on the Crusades, the eastern Islamic world, and the Mongols. His previous books include ***The Mongols and the West, 1221–1410.***

Arif Al Khaja

Oum Kalthoum

aspect of this class that I call "third" in chronological order. Arif Al Khaja, Mana Al Otaiba, and Sultan Al Habtoor, are considered the second class to which Sultan al Owais, Ahmad Amin and Hamad Bu Shehab belong.

As regards Arif Al Khajah, who is a multi-talented person and enjoys a special status in lyrical poetry, he is distinguished in this art. I do not think that anyone in his class or anyone else in the UAE can match Arif in this poetic style. I also think that he stands in the forefront among the Gulf poets in general. In addition, Arif is a good writer who is characterized by an extraordinary style, with distinguished newspaper columns, and a beautiful artistic prose style inspired by an extensive culture in the art of essay writing.

When one of us refers to lyrical poetry, he may be confronted with a question: Isn't the classical "Arabic" poetry, as a whole, with its composition, rhyme scheme and music, lyrical poetry? Even the poet himself who composes poetry may intone and vocalize it, and may sing it at times if he felt that people approve of his voice. The answer to this question is: Yes, but not every poetry is fit to be sung, for the poem to be sung must be of selected words, of the kind that is easily pronounced by people. It should contain some of their language and ordinary terminology, away from difficult or unfamiliar words. It would be good for the poet to chant his own words and hum them to himself or to his own people, in order to know about the opinion of others. Some people consider a poet's chanting of his poetry a way of testing poetry, as Hassan bin Thabit said:

Sing in every poem you compose,
That song is poetry's domain.

Arif Al Khaja, in my opinion, was able to go deeper in his understanding of songs and their impact on hearing. He succeeded, therefore, to be the lead singer and songwriter, not only in the UAE but also in the entire Gulf region, as we have already said.

Many UAE and Gulf singers sang Arif's poems. We rarely find an Emirati singer who did not sing one of Arif's poems. His national works, such as his operettes and many songs, were set to music by famous Arab singers, such as Mohammed Abdo, Asala, Raja Balmaleeh, and Rashid Al Majid. Arif himself had a sweet lyrical voice, and is a good speaker whose voice delights the listener, which adds to his poetry elegance, beauty and adornment. Having once heard a poet while singing, Al Farazdak said to him, "Your singing decorates poetry in my understanding."

Al-Khajah has tender love poetry in his published collections of poems. He has firm experience in composing all types of classical and modern poetry, in both metrical and free forms. I have not read a poet in the UAE who can match Arif Al Khaja in mastering the various genres of poetry with high quality.

The reader may note that in his Nabati poetry, Al Aqili used standard Arabic or in a very close style to classical Arabic. One who reads Al Aqili's Nabati poetry finds that his poetry is almost similar to his classical poetry, and can be read or understood by any Arab or Arabist who reads classical Arabic poetry. Nothing is more indicative of the authenticity of this statement than the beautiful lyrical poem that we have just mentioned. Dr. Ahmed Amin Al-Madani said about Al Aqili's Nabati poetry: "Apart from others, Al Aqili has the advantage that most of the vocabulary he uses is standard, fine and well-chosen. He can be rightfully described as the first innovator of Nabati poetry in the UAE."

The late Dr. Ahmed Amin, may God have mercy on him, used to compose and chant poetry in a good way. He had a melodious voice. His recitation of his poems was beautiful, melodious and attractive to the human ear. I remember that he delivered - at one of the celebrations of the Symposium of Culture and Science – a poem in praise of HH Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister of the UAE and Ruler of Dubai, starting with the following lines:

Glory looked around, driven by hope,
Our ways were lit by its rays;
Intoxicated by the wine of the glories,
Embraced with the most prestigious of honors.

He pleased the ears of the audience with both his poetry and chanting. I do not know if one of the singers sang any of Ahmed Amin's poems.

If we refer to the roots of the term نشيد (song) in the Arabic language, it means (voice), (raising the voice) and (the poetry that is sung by people)

intervals". (*Introduction*, p. 488).

The actual performance of poetry had its own rules in the pre-Islamic period which survived into later ages. Some poets, for example, recited standing up, while others proudly refused to recite unless they were seated. Some would gesture using their hands or their whole bodies, like the poetess al-Khansa, who, it is said, rocked and swayed, and looked down at herself in a trance. Thus in orality there is a 'meeting in action' of voice, body, word and gesture.

* * *

We have seen what the great thinker Adonis thinks about lyrical poetry and the singing of poetry. The fact, as Adonis sees it, is that Arabic poetry delights us and appeals to our ears, especially when it is sung by a vocalist of melodious voice. If the voice of the vocalist is not delightful, we may not feel its sweetness.

In the past, there were eloquent poets who did not have good singing voice. On delivering their poems before those whom they praised, for example, they felt that their voices were not palatable and had no impact on the listeners. Of those master poets was the well-known poet Jarir, who hired someone to read his poems on his behalf. The same can be said about Ahmed Shawqi, who did not like his voice, and sometimes asked his friend poet Hafez Ibrahim to deliver the poems written by him. Hafez had a beautiful voice, and a high sounding rhetorical throat.

A female singer may cause a poet to be more famous than the poetry of the poet himself. Oum Kalthoum, the great voice of Arabic songs, was one of those singers. She used to bring fame to those for whom she sang songs and motivated people to search for the poet who wrote the words of her songs. When she sang Omar Khayyam's quartets (*Rubaiyat al Khayyam*), which had been translated by Ahmed Rami, both the poet and the translator became famous, and attracted the ears and eyes of people. It was also reported that the famous poet, Nizar Qabbani, said that his poem which was sung by Najat Al Saghira:

"Does he think that I am a doll in his hands?
I do not think of going back to him."

was the song that publicized his name more than his writ-

Adonis

Nizar Qabbani

ings did, and made people accept him as a poet.

In the United Arab Emirates, we still have singing poets, who delight listeners, as they recite their poems in a lyrical way. The greatest lyricist known in the UAE was the poet Mubarak al Oqaili, who is said to have often sung his poetry and played the tabor along with it. His house in Souq Al Deera in Dubai was a forum for men of letters and intellectuals. Due to its music and sweet tunes, the poetry of Al Oqaili was sung by vocalists and people at large. The first to sing Al Okaili's poems in the UAE and record them on "CDs" was the singer Mohammed Abdul Salam, in India. He was supported and financed by the well-known businessman and social personality, Yusuf Al Khaja, who was trading in instruments and music, and has had a shop in Deira since the forties and fifties of the last century.

In 1951, people listened delightfully to Mohammed Abdul Salam's song written by Al Okaili. People used to gather in the cafes of Dubai, Sharjah, Abu Dhabi and Batna in Oman to listen to the songs of Mohammed Abdul Salam and other Gulf singers, such as Mohammed Fares, Dahi bin Walid, Al-Fadala, Mohammed Al-Mass and Mohammed Khan from Yemen.

If one of us wrote the history of the UAE poets, men of letters and writers of the third class (This categorization is mine), and chronological order, Arif Al Khaja would undisputedly be in the forefront of this class. However, this discussion is about the lyrical poetry and poets in the UAE. If I still have further years to live, I hope that I will one day write about the literary and poetic

Arabic Lyrical Poetry and its Impact in the UAE

By: Abdul Ghaffar Hussain

I came upon a booklet by Adonis titled *"Arabic Poetics"*. I read it on board the plane during one of my travels, though it had been published years before. Reading it was one of the most enjoyable experiences in my life.

As I have just said, the book is small and comprises a little more than a hundred pages. However, as soon as you finish reading it, you feel as if you have read a sizable book – sizable with the knowledge value it contains about Arabic poetry, a value that you do not find in volumes on the same subject. Having read it, you feel that Adonis's pen is not an ordinary one and that this pen has an exalted cognitive stature.

First, Adonis speaks about poetics and poetical orality; that is, the Arabic poetry has oral origins, like words spoken by man. Then he speaks about the emergence of this poetry as song that reached ears through hearing. Adonis defines the relationship between Arabic poetry and lyrical poetry and says, "Singing and memory were like a book that publishes the poetry of the pre-Islamic era, on the one hand, and memorizes it, on the other."

Turning back to root of the term نشيد (*nasheed* or song) in the Arabic language, it means (voice), (raising the voice) and (the poetry that is sung by people). Since the pre-Islamic poetry was sung in general, poets used to personally deliver their own poems orally, for poetry would be better heard from the mouth of its composer, as stated by Al Jahiz. This suggests that the Arabs in Pre-Islamic times considered chanting poetry another talent added to a poet's gift of composing it. In fact, the talent of chanting poems used to attract ears and impact people, since hearing was the basis of understanding and enjoying words. As put by Ibn Khaldoun, "hearing is the 'parent of oral words."

Mr. Adonis goes on to say about chanting and singing poetry:

"Chanting is just a form of singing. The Arabic literary heritage abounds with indications highlighting this fact. Chanting

Mubarak al Oqaili

Ahmed Amin Al-Madani

poets were often likened to singing birds, and their sung poetry to their songs. There is a well-known word summing up our point of view, saying that "Singing is the steering wheel of poetry". The organic connection between verse and singing in Pre-Islamic times manifests itself. Hence we understand the significance of the argument that the Arabs used to "measure poetry through singing" or that 'singing is the measure of poetry'. (Al Marzabani: AL Muwashah, p.39)

In this context, Ibn Rasheeq said, "Singing is the origin of the rhyme and meter (*Al Omdah*: 1/15). He asserted that "meters are the rules of melodies, and poems are standards for the strings" (ibid. 1/9). The most striking proof that poetry, for the pre-Islamic Arab, was chanting and singing, is the book "*Al Aghani*" (Songs) of Abu Al Faraj Al Asfahani, which comprised twenty-one volumes, and took fifty years to compile.

Ibn Khaldun analyzed this phenomenon, saying: "In the early period, singing was a part of the art of literature, because it depended on poetry, being the setting of poetry to music. Privileged writers and personalities of the Abbasid state occupied themselves with it, intent on acquiring a knowledge of the styles and genres of poetry." He adds defining the craft of song as "the setting of poems to music by dividing the sounds into regular

Although our region has witnessed the sale of the best Arabian horses, they are without supporting documents or documentation

of his stable Mustafa Mustafa Bey, Prince Mohammed Ali, Rustum Bey and others. The mission of this team was facilitated by Prince Faisal bin Turki, may Allah have mercy on him. They roamed among the tribes and met their sheikhs and experts in the history and genealogy of Arabian horses.

* From this manuscript, Dr. Al-Ghunaim selected the information about the horses that arrived in Kuwait because it was the subject of his study. It was about the Kuwaiti dignitary, Yusuf Al-Bader, who was called in the manuscript "the Sponsor of Kuwait" because he was known for acquiring the most important Arabian breeds. The following is an excerpt from this manuscript:

The fourth chapter deals with horse breeds called "Al Hudb", which were given this name in view of the length of forelocks. Sultan bin Rubaian, the Sheikh of Otaiba, was asked - in the presence of a number of elders from the tribe of Otaiba - about the forelocked mare of al-Dhahiri. He replied that in the reign of Abdul Aziz bin Saud, the latter asked Mana' bin Suwayt of Al-Hujailan tribe for a forelocked mare from among his horses. Mana' gave him a yellow forelocked mare, which – along with its offspring – moved into several stalls. One of its offspring was a red horse which was sold in Kuwait to horse traders from India.

Dr. Al-Ghunaim obtained from the British archives important documents on the Arabian horse trade in Kuwait. The oldest of these documents was the one in which the traveler James Buckingham (1786-1855) stated that the total number of Arabian horses exported from Kuwait and Basra to the ports of Pompeii, Madras and Calcutta in 1816 was 1500 horses. The price of each horse was 300 rupees, and transport cost was 100 rupees, while the expenses of its feed and care to the end of the trip were 100 rupees.

Buckingham said that the Ottoman authorities banned the sale of Arabian horses. Therefore, bribes were paid to the governors of Basra to turn a blind eye to the shipment of horses in British ships.

* Among the most important documents relied upon by the researcher is a collection of documents of Al-Khalid family located in the Center for Research and Studies on Kuwait, including this document, which dates back to the beginning of the last century. It states that:

"The mare was originally belongs to Iqal Al Khalidi, it was taken by Mahmoud Sami Tabor Aghassi, who lived in Al Ahsa. It had a paper certificate testifying that it was from Obayat Alqasar, which appears to be a stall owned by Hubaish son of Mikrad, friend of Tabor Aghassi. Mohammed Sami delivered the mare to Basra and sold it to the *aghas* of the Holy Mosque of Makkah." Then the document goes on to say, "And the mare was taken by Hamad Al Khalid, one of the notable *aghas*, who brought it to Kuwait". This document shows the great interest in horse genealogies since ancient times and the significant intertwinement of their authentic genealogies in Al Ahsa, Makkah, Basra and Kuwait.

Documents from the History of
Pure-Bred Arabian Horses

Orbits and Inscriptions – Dubai

Arab archives are mostly lacking in valid documentation. Both Arab governments and peoples did not keep their documents, especially if the documents were decades or centuries old, only very few documents would survive. This is unlike the case of Turkish Ottomans, the European countries and the nations that have preserved their civilizations for thousands of years, such as the Chinese and the Japanese. Much of their history is preserved. They also give researchers access to their documents and exert great effort to research, and write and enrich the national and private historical centers in those countries.

If we find some political documents and Arabic correspondence, there are very few of them in our historical centers about the old export – import trade through the ports of the vast Arab world. While we can also get some of them in Egypt and Morocco, we find nothing in our Arabian Gulf except what the Turkish and British archives kept for us and what our Gulf countries were able to keep and save from damage.

Having mentioned the scarcity in these Gulf commercial documents, we would stress the fact that the documents of the history of Arabian horses are the scarcest and rarest. Our region witnessed the sale of the best Arabian horses by the Arab horse owners to world merchants. However, due to the lack of document archiving culture, most of these documents were lost and unfortunately only few of them could be found.

One of the few books that contained a few documents of Arabian horses in Kuwait is the book of Dr. Abdullah Al-Yousef Al-Ghunaim, *"Documents from the History of Purebred Arabian Horses in Kuwait"*, published by the Center for Research and Studies on Kuwait in 2016. It is an important and unique book in its subject. The author collected in his book everything he had found about the documents on Arabian horses in Kuwait. He benefited from 12 Arabic

references and 6 foreign references, the most important of which was the manuscript *"The Origins of Arabian Horses"* of the ruler of Egypt between (1854-1848), Abbas Helmi the First. The book was authored by a team of horse experts who were selected by Abbas Helmi from his own entourage, including the manager

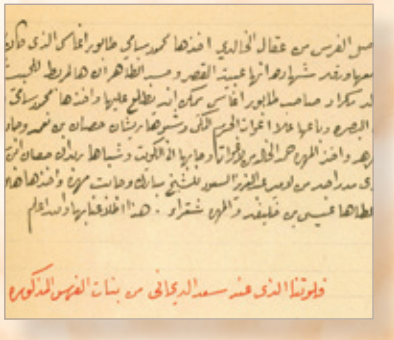

** Bait Al-Baghdadi, one of Jeddah's finest buildings. It has become an office of the American oil concessionaire since 1352 AH/1933 AD.

** Part of the Median wall that was surrounding it until recently. 1325 AH/1907 AD

** The main square at the center of Ha'il, 1333 AH/1914 AD.

Rare Old Photos from The Kingdom of Saudi Arabia

** Prayers around Kaaba, 1307 AH/1889 AD.

** Bab al-Salam at the western side of the Prophet's Mosque in Medina, 1321 AH/1903 AD.

** Al Safat Square in Riyadh crowded with people after Friday prayers. 1355 AH/1936 AD.

** The opening of Tabuk station, one of the main stations of the Hijaz Railway. 1322 AH/1908 AD.

Foreword

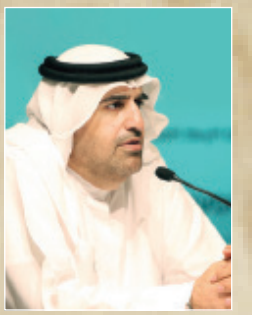

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

Goodness is Ingrained in the Forelocks of Horses!

To Arabs, horsemanship is an immortal legacy which they inherited from their forefathers long ago. Historians could not trace back the date of its beginnings. Some historical sources narrate that the Prophet Ishmael was the first to ride and tame Arabian horses after they had been wild; hence they are called "Arabian horses" in all world languages. Their characteristics never change, because they have taken from Arabia its power and endurance and from the Arabs their noble descent and honor. According to the well-known historian, Hisham Al Kalbi, horses had been originally in Yemen, then some of them came to Arabia after the ruin of the Kingdom of Saba'.

Pre-Islamic Arabs used to take excessive care of horses; they organized horse races and gave awards to winners. Islam approved of, and encouraged, horse races. Arabs inherited from their predecessors the skill of choice of horses.

Once I asked HH Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, may God protect him, how he chooses his horses, for he chooses only the best horses that always win international races. His Highness replied, "This is a knowledge that I inherited from my father, Sheikh Rashid, may God rest his soul in peace. I have gained more knowledge and experience with time." I said, "The experiences and knowledge of horses that Arabs inherited from ancient times are the same as those acquired by the late Sheikh Rashid, who taught it to his son Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum."

All pure-blooded Arabs love horses, though this love takes different forms. Some of them love to ride them and feel comfortable on their backs. Some acquire them for their beauty and blessing and boasts about owning them. Some are fond of using them in local and regional races and consider them a source of goodness and a good omen to them. Others like to watch them and enjoy a feeling of peace of mind, honor and mercy at once. Whoever stands before them would naturally feel attracted to them; let alone if such a person was an Arab who feels that there are similarities between him and purebred Arabian horses in terms of character and attributes - the thousands-of-years-old genes will move at that moment. This is the very feeling I have when I see horses even though I am not a horseman or own horses.

His Highness Sheikh Mohammed bin Rashid, has inherited the love of horses from his parental forefathers of Al Maktoum, and from his maternal forefathers of Al Nahyan. Those who trace back the history and life of the two noble families will find that they have excessive passion and fondness for acquisition of the finest horses. Since times of old, they have been raising their sons and training them to ride horses. No wonder that Arabs used to applaud this, like the illustrious Omani poet, Abu Muslim Nasser bin 'Odayim Al Rawahi (1857 – 1911 A.D.), who eulogized them and their tribe in a line of poetry:

A folk on horseback,
Whose children suckle the blood of heroism.

The poet praised Bani Yas tribe in a long poem on account of what they were known for in those times. He did not praise them seeking their rewards, but for their noble traits, particularly for their love of horses.

Therefore, the response of HH Sheikh Mohammed bin Rashid came spontaneously and naturally when he was asked about horsemanship by the Gentleman's Magazine of London in 2000; he said, "The love of horse riding runs in my blood. Do not forget that Arabian horses co-existed with Arab tribes. They were an important tool for hunting and war. They represent the history of Arabs. Horsemanship is not mere horse riding; it is originality and attitude. From birth, I loved horses. My father, Sheikh Rashid, introduced me to horses and trained me to ride them. I took, and am still taking, part in endurance and speed races, both national and regional."

Invitation

In this issue of 'Orbits and Inscriptions', a number of articles and research papers deal with purebred Arabian horses. If anyone wishes to contribute to this civilized initiative about the history of our Arabian horses in the UAE and Arabia, they will be welcome anytime.

jamal@jbhsc.ae

Jamal Bin Huwaireb

Stronger Together:
A Tale of Wisdom

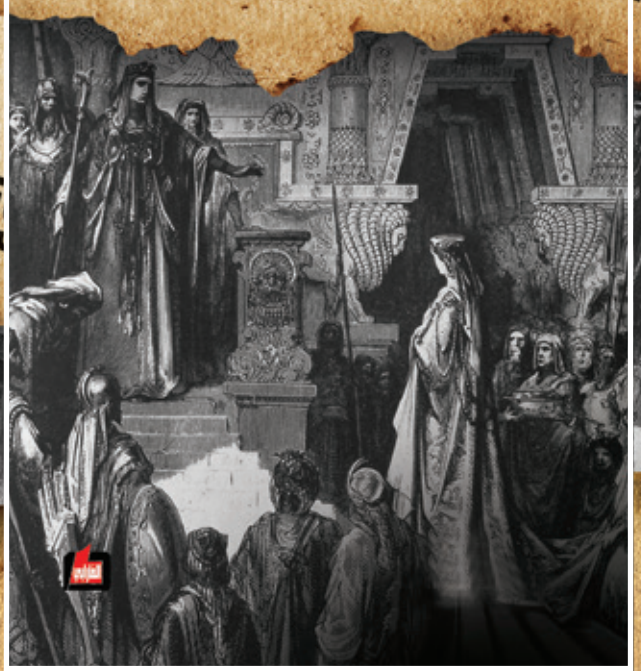

Jamal Bin Huwaireb

Stronger Together:

Tale of Wis

Jamal Bin Huwaireb

Stronger Together:

Tale of Wi

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

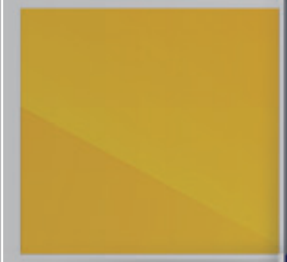

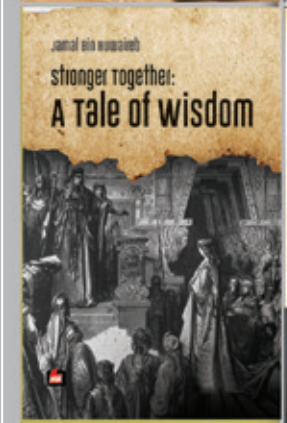

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

- **أهدافنـا:**

خدمة الباحثين في
التراث والتاريخ واللغة العربية
والتوثيـق والنشـر والتدريب

- **خدمات المركز:**

- دراسات الخيول العربية
- الاستشارات الثقافية والتدريب
- معـارض ومؤتمرات
- البحث والنشـر
- مجالـس علمية متنوعة
- مكتبة عامة تشمل أهم ونوادر كتب الأدب والتاريخ والتراث
- استـضافة كبـار الأدبـاء والمفكريـن
- مكتبـة إلكترونيـة
- مجلـة المركـز «مـدارات ونقـوش»

للتواصل
هـاتـف
0097143940309

www.jbhsc.ae info@jbhsc.ae
Jbhscae Jbhscae Jbhscae Jbhsc AE